الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

جامعة الشهيد حمة لخضر – الوادي

قسم الحضارة الاسلامية

دلالة القسم و بلاغته من خلال كتاب التبيان في أيمان القرآن لابن القيم الجوزية

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر في العلوم الاسلامية –

تخصص: لغة ودراسات قرآنية

الطالبة: المشرف:

رحيمين ريم غريسي محمد الصالح

الاسم و اللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
		جامعة الشهيد حمة لخضر–الوادي	رئيسا
		جامعة الشهيد حمة لخضر–الوادي	مشرفا و مقررا
		جامعة الشهيد حمة لخضر–الوادي	عضوا

السنة الجامعية 2020-2021م

الشكر و التقدير

أهدي هذا العمل المتواضع لكل من سهر و أفدى عمره و حياته لخدمة الإسلام و دراسة علومه و تدريسها في مشارق الأرض و مغاربها ، من علمائنا الكرام و الطاهرين و طلبة العلم .

يسرني أن أوجه شكري لكل من نصحني أو أرشدني أو وجهني أو ساهم معي في اعداد هذا البحث بإيصالي للمصادر و المراجع المطلوبة في أي مرحلة من مراحله ، و أشكر على وجه الخصوص أستاذي الفاضل غريسي محمد الصالح على مساندتي و إرشادي بالنصح و التصحيح و على أختيار العنوان و الموضوع ، كما أن شكري موجه لإدارة كلية العلوم الإسلامية بجامعة الوادي و كل أساتذة اللغة و الدراسات القرآنية فردا فردا.

و أسأل الله تعالى أن يكون هذا البحث في المستوى المطلوب ، و أن ينال استحسانكم و أن يضيف قيمة علمية للمكتبات بإذن الله تعالى.

الاهداء

أهدي هذا الجهد القاصر عن بلوغ شرف الموضوع و رتبته ، إلى روح سيدي محمد ﷺ سر الوجود و معدن الأسرار و مشكاة الأنوار.

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع إلى الذين قال فيهم سبحانه و تعالى " أن لا تعبدو إلا إياه و بالوالدين أحسانا " إلى أغلى و أعز ما لدى في الوجود و قدوتي في الحياة أبي و أمي .

إلى جميع عائلتي و أخص بالذكر اخوتي حنان ، محمد الصيفي ، رضوان ، صابرين أكرام ، و زوجات أخوتي ، خديجة ، نجاح .

إلى من حبهم يجري في عروقي و يلهج بذكراهم فؤادي إلى صديقاتي" صابرين ، رزيقة ، عبير "

إلى عائلتي الثانية "مفتاح " فردا فردا من كبيرهم لصغيرهم ..... حفظكم الله لي

إلى نصفي الثاني إلى روحي التي أتنفس بها في حياتي زوجي الغالي "اسلام" أدامك الله سندا لي مدى الحياة .

إلى مدير رئيس قسم التنسيق بمديرية الخدمات الجامعية " فارس بله باسي "

إلى مدير شركة نقل الطلبة و شركة المياه بالوادي "حلاسة جابر " و الأخ " زاوي موسى"

إلى جميع طلبة العلوم الاسلامية بجميع تخصصاتها.

هذه الدراسة بعنوان : دلالة والقسم و بلاغته من خلال كتاب التبيان في ايمان القرآن لابن القيم الحوزية ، هي تعالج اشكالية كيف أظهر الامام ابن القيم بلاغة و معاني آيات القسم في القرآن الكريم؟ حيث قسمتها إلى : مقدمة ؛ احتوت على أهمية الموضوع و أهدافه و أسباب اختياري له و الاشكالية و المنهج المتبع فيه ، كذا الدراسات السابقة ، و أجبت عن الاشكالية السابقة من خلال مدخل و ثلاث مباحث ، حيث خصصت مدخلا تمهيديا عرفت فيه المصطلحات المتعلقة بالقسم لغة و اصطلاحا ، كما ذكرت أنواعها و أركانها بالإضافة إلى الغرض منها ، ثم المبحث الأول الذي تطرقت فيه إلى ترجمة الإمام ابن القيم ترجمة موجزة حيث ذكرت مؤلفاته و عقيدته و مذهبه ، كذا ترجمت لكتابه التبيان في ايمان القرآن ترجمة موجزة مع ذكر أهمية الكتاب و منهج ابن القيم في كتابه و ذكر المصادر التي اعتمد عليها ، و المبحث الثاني خصصته لدراسة مقارنة لتفسير آيات القسم بين ابن القيم من خلال كتابه التبيان و الامام الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير و التنوير ، و في الجانب التطبيقي اهذه الدراسة قمت بانتقاء مجموعة من آيات القسم التي فسرها ابن القيم و درستها دراسة بلاغية ، و قد ختمت هذه الدراسة بخاتمة سردت فيها أهم نتائج التي توصلت إليها و لعل أهم هذه النتائج التي توصلت إليها من هذه الدراسة :

- ✓ الامام ابن القيم الجوزية ابدع و أجاد في كتابه و ليس بمستغرب هذا الأمر عليه فهو جبل راسخ من جبال العلم .
- ✓ القسم كأي أسلوب قرأني له أغراض بلاغية تتجلى في صياغته ، و من بلاغته الايجاز في الكلام و الجد في القول .

This study is entitled: The Significance of the oath and its rhetoric through the Book of Explanation in the Faith of the Qur'an by Ibn al-Qayyim al-Jawziyya. It is divided into:

Introduction which contains the importance of the topic, its objectives, the reasons for choosing it, the problematic and the methodology used in it, as well as the previous studies, and answered the previous problem through an entrance and three investigations, where I allocated an introductory entry in which I defined the terms related to the section in language and convention.

As I mentioned its types, pillars and purpose, then the first topic; And it includes an introducing of the Imam in which his doctrine and writings have been translated, as I translated to our studied book by mentioning its importance and the Imam's approach to it, and the sources he relied on.

As for the second topic, it is a comparative study of the interpretation of the verses of the division between Ibn al-Qayyim in the book entitled al-Tebyan and al-Tahir Ibn Ashur in the Book of Liberation and Enlightenment.

As for the practical aspect of this study, I selected a group of verses of the oath that Ibn al-Qayyim interpreted and studied them rhetorically.

I concluded my study with the most important results of my study: Such as:

- Imam Ibn Al-Qayyim excelled and excelled better in the Book of Explanation, and this is not surprising about him because he is a great scholar and an established mountain of science.
- The oath is like any Quranic style. His rhetorical purposes are reflected in his formulation, and his eloquence is brevity in speech and seriousness in saying.

المقدمة

الحمد لله الذي فضّلَنا بالقرآن على الأمم أجمعين ، اللهم كما أعطيتنا حظاً من وراثة هذا الذكر الحكيم و يسرت لنا حفظه و دراسته ، و حَبّبت إلينا تلاوته و تدبره نسألك أن تجعلنا من خيرة وارثيه و أن تهدينا به و تجعله حجّةً لنا يوم لقائك ، و الصلاة و السلام على حبيبنا و قائدنا و شفيعنا محمد صلى الله عليه و سلم

فقد ظهرت أصناف من العلوم لا تزال تشهد بعظمة كتاب الله الذي لا تقتضي عجائبه هو هداية الله العظمى و فيه كلامه و شرعه و دينه الذي ارتضاه لعباده ، و قد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين و انتهج أساليب العرب في طرائق التعبير عن المقاصد و من بين هذه الأساليب ، القسم و هو من الأساليب النحوية التي ذكرت في كتب النحاة قديما و حديثا، من ثمة فالناس تلجأ إليه كلما تدعو الحاجة إلى تأكيد الأمر و تحقيقه من الأخبار و العهود ، فأقسموا بكل ما هو عظيم و مقدس عندهم كدليل على صدق كلامهم .

أولا : إشكالية البحث:

وعلى هذا جاءت في القرآن الكريم أقسام متنوعة في مواضيع شتى لتوكيد ما يحتاج إلى التوكيد و بصيغ مختلفة هذا الأسلوب بتنوعيه شّد انتباه الدارسين إليه و دفعهم إلى امعان فكرهم فيه ، و لهذا ظهرت دراسات و بحوث كثيرة في هذا الموضوع قديما و حديثا و حتى وقتنا هذا ، و التي من بينها أو من أولها كتاب التبيان في أيمان القرآن للعلامة الشيخ ابن القيم الجوزية ، و قد اخترت هذا الكتاب بالذات و تناولته بالبحث لأنه أول ما ألف عن الأقسام في القرآن و لأنه كتاب عظيم النفع طيب الوقع ، حيث برع فيه و تفنن مؤلفه ثّم قعّد و قنن بعدما جمع ما ورد في القرآن الكريم من الأيمان الربانية و ما يتبعها من أجوبتها و غاياتها و أسرارها ، و لقد رجوت من خلال هذا البحث التعرف على هذا الكتاب و مؤلفه الفذ ، و الإجابة على السؤال الرئيسي الذي هو : كيف أظهر ابن القيم بلاغة و أسرار آيات القسم في القرآن الكريم؟ و من هذا السؤال تتفرع أسئلة ثانوية و هي كالتالي:

1- ما دلالات و معاني و أنماط القسم و أنواعه؟
2- من هو ابن القيم ؟ و ما هي أهم مؤلفاته؟

3- ما هي خصائص و فروق بين ابن القيم و الامام الطاهر بن عاشور في التفسير؟

ثانيا :أسباب اختيار الموضوع :

أهمية هذه الدراسة تكمن في :

1-الاهتمام بشخصية ابن القيم الجوزية و فكره البارز الفذ .
2-الرغبة في الاطلاع على كتاب ابن القيم ، لما له من اسلوب شيق و سهل في تناوله للألفاظ و التراكيب.
3-الرغبة في الاطلاع على منهج ابن القيم في توظيفه اللغة عند تفسيره.
4-اشتمال القرآن على دلالات لطيفة و معان دقيقة تحتاج إلى دقة النظر في استخراجها.

ثالثا :أهمية الموضوع :

1-تعلق الموضوع بالعلم التفسير، و هو من أشرف العلوم الشرعية المتعلقة بكتاب الله .
2-الوصول إلى الغرض الذي أقسم به في القرآن الكريم.
3-الغوص في ثنايا آيات القسم لبيان البلاغة القرآنية.

رابعا: أهداف الموضوع :

أحاول من هذه الدراسة أن أحقق أهداف منها:

1-إبراز أهم خصائص الامام ابن القيم في التفسير لآيات القسم.
2-الوقوف على المعاني الدقيقة و الدلالات اللطيفة لأسلوب القسم عند ابن القيم ، و أسلوب الإمام ابن القيم في إبرازها.
3-التدبر و التفكر في آيات الله لشفاء النفس الإنسانية من أمراضها.
4-إبراز الفرق بين منهج ابن القيم في التفسير و منهج الامام الطاهر بن عاشور .
5-دراسة آيات القسم من الجانب البلاغي.

خامسا: الدراسات السابقة :

أما فيما يخص الدراسات السابقة ، لم أجد دراسة تحمل نفس العنوان ، لكن وجدت دراسات قريبة نت موضوعي و لكن العناوين تختلف و منها :

1-التبيان في أيمان القرآن دراسة و تحقيق " لحمزة بن محمد على آل ياسين عسيري .
2-أسلوب القرآن الظاهر في القرآن الكريم بلاغته و أغراضه " لسامي عطا حسن.
3-أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية " لعلي محمد المحسن الحارثي.
4-صيغة نفي القسم في القرآن الكريم دراسة تحليلية دلالية نحوية ، سمية محمد عناية نايف.

سادسا :المنهج البحث :

اعتمدت في دراسة موضوعي على المنهج الاستقرائي التحليلي ، حيث تتبعت ما ورد في كتاب التبيان عن القسم و من الأقسام التي وردت و حللت كيف تناول الإمام هذا الموضوع بالدراسة و كذا الشيخ الطاهر بن عاشور في التحرير و التنوير ، و كذلك المنهج المقارن عند مقارنتي بين أسلوب الشيخين في هذا الموضوع .

كما أنني اتبعت جملة من الإجراءات المنهجية خلال توثيق ما جمعته ، و هي كالتالي:

- بالنسبة لترقيم الصفحات :
  - فيما يخص المقدمة : فقد رتبتها أبجديا.
  - فيما يخص صلب الموضوع : فقد رقمته ترقيما عدديا مع عدم احتساب صفحات المقدمة.
- عزوت الآيات إلى سورها مع بيان أرقامها و ذلك في متن البحث تجنبا لإثقال الحواشي.
- عند ذكر العلم من الأعلام فإني أذكر تاريخ وفاته أمام الاسم في كل موضع أورده فيه.
- ترجمت لأغلب الأعلام الذين ذكرتهم في المتن ترجمة موجزة في الهامش مع محلية لمصدر الترجمة .

- أعددت مجموعة من الفهارس لتسهيل الوصول إلى المعلومات ، و بدأت بفهرس الآيات بذكر بداية الآية و السورة و الصفحة ، ثم فهرس الأحاديث بذكر بداية الحديث و راوي الحديث و الصفحة ، ثم فهرسة ترجمة الأعلام مرتب على حسب الحروف الأبجدية ، ثم فهرس الموضوعات .
- في التهميش : إذا ذكرت الكتاب أول مرة فإني أذكر معلوماته الكاملة إن وجدت على هذا الترتيب : (اسم الكتاب ، اسم المؤلف ،اسم المحقق ، دار النشر ، بلد الطبع ، رقم الطبعة ، رقم الجزء ، تاريخ الطبعة ،رقم الصفحة)، و اكتفيت بعد ذلك بذكر اسم المصدر و اسم المؤلف و رقم الجزء و الصفحة .
- اعتمدت على كتاب التبيان في أيمان القرآن لابن القيم لأحسن طبعة و هي طبعة عالم الفوائد ، كما اعتمدت كذلك على كتاب التحرير و التنوير للإمام الطاهر بن عاشور طبعة دار تونسية.

سابعا : الصعوبات

لا يخلو أي بحث علمي من بعض الصعوبات ، فقد واجهتني عدة صعوبات منها :

1-أولها و أشدها أزمة كورونا التي حالت دون اطلاعي على مصادر و مراجع أخرى من مكتبات الجامعات الأخرى

2-صعوبة اللقاء بالأستاذ المشرف نظرا للحجر الصحي المفروض علينا جعلني أخوض في البحث بنفس قلقة و متعبة

3-مرض الوالدة العزيزة الغالية الذي أرهق قواي الجسمية و النفسية.

ثامنا :خطة البحث

رأيت أن أنسب خطة تخدم لبلوغ الأهداف من دراسة هذا الموضوع ، أن تكون في مقدمة منهجية و مدخل و ثلاث مباحث و خاتمة.

أما المقدمة فتحدثت فيها عن أهمية الموضوع و أهدافه و أسباب اختياري له و الاشكالية و المنهج المتبع فيه مع ذكر الدراسات السابقة ، دون أن أغفل على بيان ما استصعب و اشتكل علي خلال مسيرتي في البحث ، و ختمتها بالمصادر و المراجع المعتمدة في إنجاز هذا العمل.

- **تناولت في المدخل** : مفهوم القسم و أنواعه و أركانه ، و الأغراض التي يقوم عليها القسم .
- **أما في المبحث الأول** :فقد تطرقت فيه إلى التعريف بالمؤلِّف و المؤلَّف.
- **و المبحث الثاني** : درست فيه وجه المقارنة بين تفسير ابن القيم و تفسير الامام الطاهر بن عاشور لآيات القسم.
- **ثم المبحث الثالث** : ركزت فيه على دراسة بلاغة آيات القسم عند ابن القيم.
- ثم الخاتمة و فيها أهم النتائج المتوصل إليها .

تاسعا : مصادر البحث و مراجعه:

من أجل اخراج البحث في صورة علمية أكاديمية موثقة ، رجعت إلى مجموعة من المصادر و المراجع التي انتقيت منها المادة العلمية المتعلقة بالموضوع و قد تنوعت هذه المصادر و المراجع حسب تشعب الموضوع ، فقد شملت ما يلي :

1/التبيان في أيمان القرآن لابن القيم الجوزية

2/التحرير و التنزير لطاهر بن عاشور

3/شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي

4/ القسم في اللغة وفي القرآن لمحمد مختار السلامي

5/تفسير القرآن الكريم و اعرابه و بيانه لمحمد علي طه الدرّة

6/ لسان العرب لابن منظور

7ابن القيم الجوزية الداعية المصلح و العالم الموسوعي لصالح أحمد الشامي

أما المواقع الالكترونية:

www.ahlalhdeeth.com

www.islamweb.net

و أخيرا نسأله سبحانه أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم و أجرا جديدا في ميزان حسناتنا و علما ينتفع به ، و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

مدخل :ماهية القسم و مقوماته

1/ مفهوم القسم .

2/ أنواع القسم و أركانه .

3/ أغراض القسم .

هذا المبحث عبارة عن توطئة للبحث ، قمت فيه بتعريف القسم لغو و اصطلاحا و ذكرت فيه أنواع القسم و أركانه و بعض أغراضه ، و كان العمل كالتالي:

تعريف القسم :

لغة :

يعتبر القسم واحد من أساليب التوكيد التي عرفها الناس في الكثير من اللغات ،فقع عرف و شاع عند العرب كما شاع عند غيرهم من الامم ، فاستعملوه قي كل ما تدعوا الحاجة إلى توثيقه و تحقيقه من الاخبار و الوعود و غير ذلك مما يستلزم توكيد الامر ، فيما يكون من شؤون الافراد و الجماعات و لاسلوب القسم العديد من المصطلحات الشائعة ، فقد اطلق ليه مثلا : القسم ، الحلف ، اليمين ، العهد و النذر .....

و نركز في بحثنا هذا على أهم المصطلحات الشائعة (القسم ، الحلف ، اليمين)

أ/ مادة (ق،س،م) :

1. ورد في معجم "لسان العرب" لابن منظور* (ت 711هـ) مادة (ق،س،م) "و القسم بالتحريك اليمين ، وكذلك المقسم وهو المصدر مثل المخرَج و أقسمت حلفتُ " [1]

وفي التنزيل قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ النمل: ٩٤

*ابن منظور : محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حقة بن منظور الأنصاري المصري ، صاحب لسان العرب في اللغة ، كان عارفا بالنحو و اللغة و التاريخ و الكتابة ، و من كتبه مختار الأغاني و مختصر مفردات ابن منظور ، توفي 711هـ ./ ينظر : بغية الوعاة في طبقة اللغويين و النحاة ، جلال الدين السيوطي ،ج1، ص247.

[1] لسان العرب ، ابن منظور ، ت عبد الله علي كبير و محمد أحمد حسب الله و هاشم الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة، مادة (ق،س،م) ، ص 363.

"و القسم اسم أقيم مقام المصدر و موضعه الذي حلف به (مُقسمٌ كمُكرمٌ) " [1].

" واستقسمه به أي أقسم به في بعض النسخ ، واستقسمه به هو الصواب الأول " [2].

أقسم بالله ، و حاف به ، وتقاسم القوم و تحالفوا ، و استقسمه بالله طلب منه أن يحلف القسم جميع أقسام : اليمين بالله تعالى أو غير. و أصله من القسامة ، و القسامة هي " أيمان يقسم على المتهمين في الدم " [3].

"وفي حديق الأيمان تقسم على أولياء الدم ، و قتل فلان فلانا بالقسامة ، أي باليمين ، وجاءت قسامة من بني فلان ، و أصله اليمين ثم جعل قوما "[4].

ب/ مادة (ح،ل،ف) :

ورد في معجم لسان العرب لابن منظور (ت711هـ) مادة (ح،ل،ف) :"حَافَ، الحِلفُ، الحَلفُ) القسم لغتان ، حَافض أي أقسم يَحلفُ حِلفاً و حَلفاً و محلوفاً ، و هو أحد ما جاء من المصادر على مفعول مثل : و المعقولُ و المعسورُ و الميسورُ و الواحدة حِلفةٌ.

ويقولون محلوفة بالله ما قال ذلك ،ينصبون على إضمار يحلفُ بالله محلوفةٌ أي قسماٍ و المحلوفةُ هي القسمُ.

و الحِلفُ بالكسر العهد يكون بين القوم ، وقد حَالفهُ أي عاهدهُ ، و تحالفوا أي تعاهدوا[5]

و الحلف بالله على كذا حَلفًا ، و هو حلافٌ و حلافةٌ و أحلوفةٌ كاذبة ، وحالفهُ على كذا و تحالفوا عليه و احتلفوا ، و حلّفَ خصمه و استحلفه القاضي[6].

---

[1] تاج العروس ،الزبيدي ، ت إبراهيم الترزي ، الكويت ، ط1 ، ج33، مادة (ق،س،م) ، 2000م ، ص 269.

[2] المصدر نفسه ، تاج العروس ، الزبيدي ، ص 269.

[3] التعريفات ، الجرجاني ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1985م ، ص 183.

[4] المصدر السابق ، لسان العرب ، ابن منظور ، ص 3631.

[5] المصدر السابق ، لسان العرب، ابن منظور ، مادة (ح،ل،ف) ،ص 963.

[6]أساس البلاغة ، الزمخشري ، ت محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1،ج1،1998،ص208

استحلفه أي حلّفه، (الحَلفُ) : المعاهدة على التعاضد و التساعد والاتفاق والجمع أحلافٌ و الحلافُ كثير الحلف[1]، و في تنزيل قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠﴾ القلم: ١٠

ج/ مادة (ي،م،ي،ن)

و اليمين القسم و الجمع (أيمنُ و أيمانُ) و قيل إنّما سميت بذلك لأنهم كانوا إذا تحالفوا ضرب كل إمرئ منهم يمين صاحبه ، وأن جعلت اليمين طرفاً فلم تجمعه لأن الظروف لا تكاد تُجمع و اليمينُ يمينُ الإنسان و غيره [2]، و استيمنته استحلفته[3].

اصطلاحا :

ورد في "المقتضيب" للمبرد(ت286هـ)* أنّ " للقسم أدوات توصل الحَلِفَ إلى المقسم به ، لأن الحلف مضمر أي غير ظاهر لعلم السامع به مثل: عبدَ الله ، فالفعل محذوف و كذلك كل مستغني عنه فإن شئت أظهرت الفعل فتقول يا زيد عمراً ، أي عليك أمراً ، و تقول الطريق يا فتى ، أي ظل الطريق ، و ترى الرامي قد رمى فتسمع صوتا فتقول القرطاس والله ، أي أصبت، و أن شئت قلت يا زيد عليك عمراً ، و أصبت القرطاس يا فتى "[4].

فنجد أن المبرد قد تطرق إلى إظمار الفعل و إظهاره في القسم مما يلفت إنتباه السامع.

كما ورد أيضا في كتاب " اللمع في العربية" لابن جني(ت393هـ)*ن أن القسم ضرب من

---

[1] معاجم الوسيط ،ابراهيم مصطفى ، ت مجمع اللغة العربية ،(د،ب) ، (د،س) ،ص557.

[2] مختار الصحاح ، الرازي المطلعة الكلية ، مصر ، ط1، مادة(ح،ل،ف) ،1911م ، ص557.

[3] المخصص ، ابن سيده، المطلعة الأميرية ، مصر ،1901م،ص115.

*المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري النحوي صاحب الكامل و النوادر و الطرف ، توفي (286هـ)/ ينظر : سير أعلام النبلاء ،الحافظ الذهبي ، ج13، ص 577.

[4] المقتضب ، المبرد، ت محمد عبد الخالق عظيمة ، القاهرة ، ج2، 1994م ، ص317.

*ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جنب الموصل ، صاحب التصانيف ، له ترجمة طويلة في "تاريخ الأدباء" لياقوت ، من مؤلفاته الألفاظ المهموزة ، سر صناعة الاعراب ، الخصائص ، توفي(393هـ) / ينظر: سير أعلام النبلاء ، ج17، ص18.

الخبر يذكر ليؤكد به خبراً آخر.[1]

و قد عقدت العرب جملة القسم من المبتدأ أو الخبر كما عقدتها من الفعل و الفاعل فقالت : لعَمرُكَ لأقومنَّ و لأيمن الله لأذهبنَّ ، فعمرك مرفوع بالإبتداء وخبره محذوف ، و التقدير لعمرك ما أحلف به و قولك لأقومنَّ جواب قسم و ليس بخبر للمبتدأ [2].

و كذلك قال في كتاب آخر "البيان في شرح اللُّمع " أن القسم لا يفيد إذا إستقل بنفسه ، و إنما الإفادة تحصل إذا انظم إلى المقسم عليه ، و يحتاج إلى ثلاثة أشياء : إلى مقسمٍ و هو الحالف ، و إلى مقسم به ، و إلى مقسم عليه [3].

و تستنتج أن معظم التعريفات التي تطرق إليها النحاة متقاربة في كون القسم ضرب من الخبر يؤكد الأمر الثابت و المنفي ، و ذلك كما تدعو الحاجة إليه في شؤون الافراد و الجماعات .

2/أركان القسم و أنواعه :

أ/ أركان القسم :

للقسم أركان عند النحاة ، حرف القسم و المقسم به و المقسم عليه ، ومن النحويين من زاد فيها كإبن خالويه (ت370هـ)*، إذ قال " وأعلم أن القسم يحتاج إلى سبعة أشباه ، أحرف القسم و المقسم به و المقسم عليه و المقسم عنده و الزمان و المكان " [4]و لكننا سنتناول أهم هذه الأركان و هي أربعة:

---

[1] اللمع في العربية ، ابن جني ، ت سليم أبو مغلي ، دار مجدلاوي ، عمان ، 1988م ، ص 121.

[2] المرجع السابق ، اللمع في العربية ، لبن جني ، ص 123.

[3] البيان في شرح اللّمع ، ابن جني ، ت علاء الدين حموية ، دار عمار ، عمان ، ط1، 2002م ، ص576.

*ابن خالوبه: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حمدان الهمذاني من كبار النحاة ، من مؤلفاته مختصر في شواذ القرآن ، شرح مقصورة ابن الدريد ، توفي (370هـ) / ينظر :بغية الوعاة ، السيوطي، ج1، ص529

[4] صيغة نفي القسم في القرآن الكريم دراسة تحليلية دلالية نحوية ، سمية محمد عناية نايف ، كلية التربية ، ابن رشد ، جامعة بغداد ، رسالة لنيل درجة دكتوراه في اللغة العربية ، إشراف د عبد الرحمان الجبوري ، 2004م، ص20.

أولا : المقسم و هو إمّا الله و إمّا العباد

فالقصد من القسم هو تحقيق الخبر و توكيده ، و قد قيل ما معنى القسم منه تعالى،فإنه إن كان لأجل المؤمن مصدق بمجرد الإخبار من غير القسم ، و إن كان لأجل الكافر فلا يفيده؟

و أجيب بأن القرآن نزل بلغة العرب ، ومن عادتها القسم إذا أرادت أن تأكد أمراً .

و أجاب أبو القاسم القشيري(ت465هـ)* بأن الله ذكر القسم لكمال الحجة و تأكيدها ، وذلك أن الحكم يفصل بإثنين ، إمّا بالشهادة و إمّا بالقسم ، فذكر المولى عز وجل في كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة [1] **قَالَ تَعَالَى:** ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ آل عمران: ٨١ و قال أيضا **قَالَ تَعَالَى:** ﴿۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ يونس: ٣٥

فقد ورد القسم في القران الكريم في مواضع عديدة وبأشكال متنوعة من ذلك أن الله سبحانه وتعالى ذم كثرة الحلف وجعل ذلك من الصفات المذمومة وذلك جلى في **قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾﴾ القلم: ١٠

فالمخاطب سواء أكان مؤمنا لا يحتاج إلى قسم أم كافر ألا يفيده فهو يطلب الحجة والبرهان على ذلك قسم المولى عز وجل ليس كقسم الناس فالناس يقسمون بما هو أعلى وأعظم منهم ليرفعوا ما يقسمون من أجله

ثانيا : المقسم به

[1] الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ت شعيب الارنؤوط ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 2008م ، ص675.

*القشيري: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري الخرساني النيسابوري الصوفي ، صاحب الرسالة و التفسير الكبير ، توفي (465هـ)/ ينظر :سير أعلام النبلاء ، ج18،ص227.

"الأقسام إما أن تكون بما يعظمه و يعليه المقسم أو يجله وهو الله سبحانه وتعالى فوق هذه الأقسام ، إذا فالمولى عز وجل ليس شيء فوقه، فأقسم بنفسه تارة و تارة بموضوعاته وهذا دليل على عظمة المولى عز وجل و قدرته في خلقه، وما أقسم عليه الرب فهو من آياته فيجوز أن يكون مقسم به و لا ينعكس "[1].

و المقسم به يكون أمراً جليا دائما و لمجيئه في القرآن الكريم أغراض :

أولها : أنه قد يكون شيئا علويا بعيدا عنا يثير الرهبة و العظمة و الجلال ، و يدعونا ذكره و القسم به إلى أن يثير لدينا الفضول العلمي ، و حب الاستطلاع ، فأخذ في توجيه أنظارنا إليه بالبحث و الدرس و التحليل و محاولة تسخيره لمنافعنا ، و ذلك كالسماء و ما فيها من النجوم، و الشمس و القمر و مظاهر كونية كثيرة ، فالقسم بهذه الكائنات العلوية يدفع الناس إلى البحث و التنقيب و نصوص القرآن الدالة على النظر و البحث كثيرة منها **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ١٠١﴾ يونس: ١٠١

ثانيها : أن المقسم قد يكون شيئا أرضياً مما يحيط بالإنسان و يتعايش به و معه ، و يقسم الله تعالى به لما فيه من منافع و فوائد ، كالتين و الزيتون ، البحر المسجور ، والأرض و ما طحاها[2]

ثالثها : أن يكون المقسم به شيئا ذاتيا للإنسان ، وذلك كالنفس البشرية التي أقسم الله بها في **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧﴾ الشمس: ٧ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢﴾ القيامة: ٢ كما أن المولى عز و جل أقسم بذاته من أجل تصحيح الاعتقاد أي على أولئك المشككين لدين الله و عظمته ، و من أجل توجيه العباد على عدم القسم إلا به سبحانه و تعالى و في ذلك **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ٦٨﴾ مريم: ٦٨ و الحكم كثيرة من قسم الله سبحانه و تعالى ، منها ما يلفت

[1] أسلوب الشرط و القسم خلال القرآن ، صبحي عمر ، دار الفكر ن عمان ، ط1، 2009م ،ص75.

[2] أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم بلاغته و أغراضه ، سامي عطا حسن ، جامعة أل البيت ، المفرق المملكة الأردنية الهاشمية ، ص12.

النظر إلى مواضع العبرة في هذه الأشياء المقسم بها و الحثّ على تأملها منها ما ينير السبيل و يبين و يظهر الحجة [1].

ثالثا : المقسم عليه :

وأما المقسم عليه فإن الحالف قد حلف على الشيء ثم يكرر القسم ولا يعيد المقسم عليه ، لأنه قد عرف ما يحلف عليه ، فيقول والله إن لي عليه ألف درهم ، ثم يقول : و ربّ السماء و الأرض والذي نفسي بيده وحق القرآن العظيم ، و لا يعيد المقسم عليه لأنه عُرف المراد[2].

و جواب القسم إذ يختلف باختلاف نوعي القسم ، و هما الاستعطافي و غير الاستعطافي ، فإن كان القسم استعطافيا أي أنه جملة طلبية يراد بها توكيد جملة طلبية أخرى متضمنة على ما يثير الشعور و العاطفة ، ومن ثمة يعتبر جواب قسم.

أما إذا كان القسم غير استعطافي وهو ما جاء به لتوكيد معنى جملة خبرية و تقوية المراد منها أي الغرض الذي ترمي إليه [3]، كما أن جملة جواب القسم كجواب الشرط متعلق بما قبله، أي أنها متعلقة بالقسم و هي إما فعلية أو إسمية [4]، فالجملة الفعلية منها هي المثبتة التي تفتح بإحدى الأدوات نذكر من بينها الام و النون و إنّ المكسورة و المفتوحة و إن المخففة وبل ، أمّا الجملة الإسمية منها هي المنفية التي تفتتح بإحدى الأدوات و هي "ما" ، "إن" ، "لا".

1-الجملة المثبتة :

أ / الإثبات باللام المفتوحة :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ۖ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴿٣﴾ ﴾ سبأ: ٣

المقسم : النبي الكريم

[1] المرجع السابق، صيغة نفي القسم في القرآن الكريم ، سمية محمد عناية ، ص 24.

[2] التبيان في أيمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ، ت عبد الله بن سالم البطاطي ، عالم فوائد ،جدة ، ص 7.

[3] النحو الوافي ، عباس حسن ، دار المعارف ، مصر ، ط3 ، ج4 ، ص 483.

[4] الإعراب الميسر ، محمد علي أبو العباس، دار الطلائع ،1998م، ص 139.

حرف القسم : الواو

المقسم به : ربيّ

المقسم عليه : لتأتينكم عالم الغيب .

تعتبر هذه الآية في تكوينها من جملة القسم و جوابه ، فجملة القسم مؤلفة من حروف القسم و هو الواو و المقسم به و هو الربّ عز و جل ، و ذلك لعظمة شأنه و ذاته فقدرته تفوق قدرة البشر ، فالله سبحانه و تعالى أمر نبيه الكريم صلى الله عليه و سلم أن يقسم للكفار بربه العظيم و أن الساعة حق و حقيقته ثابتة فهذه هي جملة جواب القسم ، أما جوابه فهو "ليأتينكم عالم الغيب " ، جاءت جملة المقسوم عليها مثبتة باللام المفتوحة في أول الفعل "ليأتينكم" و كذلك بالنون الثقيلة في آخره ، فلفظة "ليأتينكم" مشتقة من الفعل أتى يأتي بمعنى المجيء و القدوم ، أما دلالتها السياقية ، و هي إنكار الكفار للبعث ، فوقعت هذه اللفظة لتبيّن و تثبت إقسام المولى عز و جل على وقوع البعث لما أنكره أهل الكفر و العناد[1].

ب / الإثبات بإنّ المكسورة :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الذاريات:٣٢

المقسم : الله

حرف القسم : الواو

المقسم به : ربّ السماء و الأرض

المقسم عليه : إنه الحقّ مثل ما أنّكم تنطقون

لقد وقع القسم في حرف "الواو" الذي يدل على العطف لما قبله و ما بعده ، كما أنّ السماء و الأرض يدلان على الرزق في هذا السياق ، فهذه هي جملة القسم بعناصرها ، أما جملة جواب القسم فهي "إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون" جاءت مثبتة ب "إنّ" و "اللام" ف "إنّ" جاءت مكسورة و هي صلة للقسم [2]، فلفظة "الحق" مشتقة من الحقيقة وهي عكس

[1] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، الشنقيطي، دار عالم الفوائد ، مج6، ص 673.

[2] دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، محمد عبد الخالق عظيمة ، دار الحديث ، القاهرة ، (د،س) ، ص566.

الباطل ، أما لفظة "تنطقون" مشتقة من النطق ، أما دلالتها السياقية أن النطق خاص بالإنسان دون غيره من الكائنات الحية الأخرى.

ج/ الإثبات بأن المخففة :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ٥٦﴾ الصافات: ٥٦

المقسم : القرين

حرف القسم : التاء

المقسم به : الله تعالى

المقسم عليه : إن كدت لتردين

تميز حرف التاء بمعناه المتجلي ألا و هو التعجب ، وذلك بدخوله على لفظ الجلالة فقط ، أي أنه اختص به ،فقد أفاد معنى القسم، والمقسم به هو المولى عزّ وجل فهذه هي جملة القسم بعناصرها ، أما جملة جواب القسم فهي " إن كدت لتردين " أثبتت الجملة المقسوم عليها فإن المخففة من الثقيلة ، و اللام هي الفارقة ، فلفظة " كدت" أي أوشكت على فعل كذا أما لفظة "لتردين" يقال أرديت فلاناً أي أهلكته [1]

د/ الإثبات ب "بل" :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢﴾ ص: ١ - ٢

المقسم : الله

حرف القسم : الواو

المقسم به : القرآن ذي الذكر

المقسم عليه : بل الذين كفروا في عزة و شقاق

ورد القسم بحرف "الواو" في "والقرآن" خفضت هذه اللفظة بواو القسم ، و الواو بدل من الباء فلفظة القرآن تدل على الاعجاز و كلام الله سبحانه و تعالى ، أما دلالتها السياقية أقسم المولى بالقرآن تنبيها على جلالة قدره و عظمته ، أما لفظة "ذي الذكر" فهو وصف

[1] الديوان في الأدب و النقد ، ابراهيم عبد القادر المازني ، عباس محمود العقاد ، دار النهضة ، مصر ، ج4، ص305.

القرآن الكريم بأنه البيان و التسبيح و الدعاء و الشكر و الطاعة [1]، فهذه جملة القسم بعناصرها ، أما جوابه فهو " بل الذين كفروا في عزة و شقاق" ف "بل" هي نفي لأمر سابق و إثبات لغيره أي أنها تحمل الوجهين ، و ذهب بعض النحاة إلى أن "بل" تصلح أن تربط جملة جواب القسم [2] فلفظة "عزّة" تدل على الشجاعة ، أما دلالتها السياقية في الآية فهي التكبّر ، والغرض من جملة القسم وجوابه هو التقديس و التعظيم للمولى عز وجل.

2/ الجملة المنفية :

أ/ النفي ب "ما":

قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ الأنعام:٢٣

المقسم: الكفار

حرف القسم: الواو

المقسم به: الله ربنا

المقسم عليه : ما كنا مشركين

نزلت هذه الآية الكريمة بسبب عدم إجابة الكفار حيث اختبروا بهذا السؤال "ثم لم تكن فتنتهم" و الفتنة هي الاختبار ، فرأى الكفار الحقائق و ارتفعت الدواعي فقالوا" والله ربنا ما كنا مشركين"، فجملة القسم هي "والله ربنا" الواو عطفت الجملة التي قبلها بما بعدها : فأقسم الكفار بالله تعالى كذبا فهذه هي إذا جملة جواب القسم ، أما جوابه فهو " ما كنا مشركين" جاء مقترنا بحرف النفي "ما" و لفظة "مشركين" من الشرك وهو الباطل و عدم الإيمان بالله تعالى أما دلالتها السياقية هي أن الكفار يكذبون و يحلفون على عدم الشرك مع علمهم بأنه لا ينفعهم من فرط الحيرة و الدهشة[3] ، و الغرض من جملة القسم وجوابه تحذير الكفار باتصافهم بالشرك.

ب/ النفي ب "إنْ"

[1] المصدر السابق ، لسان العرب ، ابن منظور ، ص1508

[2] القسم في اللغة وفي القرآن ، محمد مختار السلامي ،دار الغرب الاسلامي ،1999م ص68

[3] تفسير القرآن الكريم و إعرابه و بيانه ، محمد علي طه الدرة ، مج3، 2009م، ص264

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ النساء:٦٢

المقسم : المنافقون

حرف القسم : الباء

فعل القسم : يحلفون

المقسم به: الله تعالى

المقسم عليه: إن أردنا إلا احساناً و توفيقاً

يعتبر الشاهد في هذه الآية الكريمة مكونا من فعل القسم وحرف القسم "يحلفون ب" ، و المقسم هو المنافقون أي الكفار و المشركين ، و المقسم به هو الله تعالى فهذه هي جملة القسم، أما جوابه" إن أردنا إلا احساناً و توفيقاً" جاءت الجملة المقسوم عليها مقترنة بحرف ا لنفي "ما" و لفظة "احساناً" هي من صفات المؤمنين تدل على الخير ، و لفظة "توفيقا" دليل الخير بمعنى المصالحة وعدم المخاصمة ، أما دلالتها السياقية هي أن المنافقين أنكرو حقيقتهم السيئة و ادّعوا أن غرضهم هو الاحسان و التوفيق[1].

ج/ النفي ب "لا" :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ النحل: ٣٨

المقسم : الكفار

حرف القسم : الباء

فعل القسم : أقسموا

المقسم به : الله

المقسم عليه : لا يبعث الله من يموت

[1] المرجع السابق ، القسم في اللغة و في القرآن ، محمد مختار السلامي ،ص78

الشاهد في هذه الآية الكريمة هو الفعل " أقسم" و حرف" الباء" فأقسم من القسم و هو اليمين بالله تعالى ، وقد أقسم إقساما هذا هو المصدر الحقيقي ، و أما القسم فإنه أقيم مقام المصدر و موضعه الذي حلف فيه[1]، أما دلالته في السياق أن هؤلاء الكفار أقسموا جهد يمينهم أي حلفهم ، و الحلف يحتمل الكذب و البطلان و "الواو" التي قبل الفعل " أقسم" أفادت العطف على الآية التي قبلها ، أما حرف الباء فقد سبقت الإشارة إليه ، أما دلالته في السياق أنه أفاد القسم ، فقد لصق بلفظ الجلالة "الله" أما قوله" جهد أيمانهم" فهي تعني بلوغ أقصى درجة في اليمين ، وبالتالي لا يجوز الحلف بغير الله سبحانه وتعالى فهذه هي جملة القسم بعناصرها ، أما جملة جواب القسم فهي " لا يبعث الله من يموت" جاءت الجملة المقسوم عليها منفية بالحرف "لا" و هو يفيد إنكار المشركين للبعث و إقسامهم عليه ، وبالتالي فالبعث و يوم الحساب لا محالة منه ووعد الله حق حقيقة ، وقد استعمل اسم "أيمانهم" دون غيره من الاسماء و الأفعال و الحروف فهو يدل على الحلف ،أي على البطلان و الكذب و هذه الصفات تنطبق على الكفار و المشركين ، و الغرض من جملة القسم و جوابه هو التحذير من الوعيد و الحساب .

حروف القسم:

تحتاج أفعال القسم إلى ما يوصلها إلى المقسم به ، ولهذا جيء بحروف القسم للمقسم به ، قال الخليل(ت170هـ)* " إنما جيء بهذه الحروف لأنك تضيف حلفك إلى المحلوف به..."

و المعنى هذا شرحه سيبويه (180هـ)*:" أنك إذا قلت : بالله و الله و تا الله فإنك أضفت الحلف إلى الله سبحانه ، فهذه الحروف تضيف معنى القسم إلى المقسم به لأن فعل

[1]المرجع السابق ، تاج العروس ، الزبيدي ، ج33، ص27

*الخليل : الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم أبو عبد الرحمان البصري الفراهيدي ، من أئمة اللغة و الادب ، واضع علم العروض ، من مصنفاته ،كتاب العين (ت170هـ) / ينظر البلغة في تراجم أئمة النحو و اللغة ، الفيروز آبادي ،ص134

* سيبويه : عمران بن عثمان بن قنبر الحارثي ،إمام النحاة ، أخذ النحو و الأدب من عند الخليل ، ولد في بلاد فارس ونشأ بالبصرة ، توفي في قرية البيضاء بشيراز سنة (180هـ)/ ينظر : سير أعلام النبلاء ، ج8، ص352.

القسم لا يصل بنفسه إلى المقسم به"[1].

و من الحروف نجد (الباء و الواو و التاء و اللام ومن.....) لكن الحروف الثلاثة الأولى هي أكثر حروف القسم وروداً في كلام العرب، و لم يرد غيرها في القرآن الكريم، وسنأتي الآن على ذكرها بالتفصيل حرفاً حرفاً .

1/ حرف الواو :

قال عنها الرضيُّ(ت686هـ)* " أعلم أن واو القسم لها ثلاثة شروط أحدهما حذف فعل القسم معها فلا يقال أقسم بالله ، وذلك لكثرة استعمالها في القسم فهي أكثر استعمالاً من أصلها الباء ، و الثاني ألاّ تستعمل في قسم السؤال فلا يقال : والله أخبرني ، كما يقال : بالله أخبرني، و الثالث أنها تدخل على الضمير فلا يقال: وك ، كما يقال بِكَ ، و اختصاصها بالحكمين الأخيرين لكونها فرع الباء وبدلاً منها لأن بينهما تناسبا لفظيا لكونهما شفهيتين[2].

و الغرض من عدم استعمال الواو مع فعل القسم لكي لا يبطل الغرض في البداية من الباء ، وذلك أنهم لمّا كان قولهم : حلفت بالله محتملا للإنشاء و الاخبار عن اليمين المتقدمة جاؤوا بالواو منه لكي يخلص الكلام لعقد اليمين دون احتمال الاخبار ، و في استعمال فعل القسم معه إعادة الاحتمال وفيه نقض الغرض[3].

و في ذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣﴾ يس: ١ – ٣

---

[1] أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية ، علي محمد بن عبد المحسن الحارثي ، مذكرة لنيل درجة الماجستير في البلاغة و النقد، قسم الدراسات العليا ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 1991 م ، ص29.

[2] شرح الرضي على الكافية ، يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة ، قازيونس ، بنغازي ،ط2،ج4، 1996م، ص300.

*الرضيُّ: محمد بن الحسين الرضي الاستراباذي نجم الدين ، و هو نحوي و عالم اللغة من بلدة استرايان في طبرستان ، من أشهر علماء النحو لقب " نجم الأئمة" من اشهر مؤلفاته "شرح كافية لابن الحاجب" و " شرح مقدمة ابن الحاجب "توفي سنة 686هـ/ ينظر: بغية الوعاة ، السيوطي ،ج1، ص567.

[3] ينظر : كتاب تشريح العلل في شرح الجمل ، القاسم بن الحسين الخوارزمي ، ت عادل محسن العميري ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، مكة المكرمة ، ط1، 1998م ، ص206.

المقسم : الله تعالى

حرف القسم : الواو

المقسم به : القرآن الكريم

المقسم عليه: إنّك لمن المرسلين

فالشاهد إذا هو حرف "الواو" الدال على القسم وجملة القسم مكونة من القسم وهو الله سبحانه و تعالى ، ولفظة "الله" تدل على العظمة وجلالة الملك و أما دلالته في هذه الآية الكريمة هي بيان قدرته و عظمته في خلقه لإتباع سنة رسوله الكريم صلى الله عليه و سلم بما أوحى إليه من القرآن الكريم بواسطة جبريل عليه السلام ، أما دلالة "الواو" السياقية أنها قامت بالعطف بين لفظة " يس" و بين ما بعدها " القرآن الحكيم" ، أما المقسم به فهو " القرآن الحكيم" فالله سبحانه وتعالى أقسم بالقرآن الكريم بأنه حكيم ، أما جواب القسم هو " إنك لمن المرسلين" جاء المقسم عليه مؤكدا ب إنّ المشددة و اللام ، وأما دلالته فهي أن المرسلين هم أولئك الذين يتبعون الدين القديم والشرع المستقيم و أيضا هم الذين أحكمت عقولهم على دواعي نفوسهم فصاروا بما منحهم الله تعالى من القوة النورانية ، وبما تخلقوا به من أوامره ونواهيه[1] ، أي أن المرسلين لا يكونون إلا على صراط مستقيم و هو دليل الثبات.

و قد جاء حرف القسم "الواو" مناسبا في هذه الآية الكريمة دون غيره من الحروف و الأفعال و الاسماء ، فقد أبدل حرف الباء ،لأن الواو أخف من الباء و حركتها أخف من حركة الباء ، والغرض من هذه الآية الكريمة هو بيان معجزة النبي الكريم ﷺوتقديس و تعظيم المولى عزّ و جل [2].

2/حرف الباء :

الباء من حروف الجر تدخل على محلوف به مع حرف الواو فقال الخليل(ت170هـ) عن ذلك "إنما تجئ بهذه الحروف لأنك تضيف حلفك إلى المحلوف به ،كما تضيف مررت به بالباء ، إلا أن الفعل يجئ مضمرا في هذا الباب ، و الحلف توكيد"[3] ، والباء هي الأصل في

[1] السراج المنير ، الخطيب الشربيني ، مطبعة بولاق الأميرية ، (د،ب) مج3، 2012م ، ص337.

[2] المرجع السابق ، السراج المنير ، الخطيب الشربيني ، ص 339.

[3] الكتاب ، سيبويه ، ت عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج3، 1992م، ص497.

القسم تدخل على المضمر و المظهر معا فنقول : بالله لأقومنّ ، وبه أفعلن [1] ، كما أنها متعلقة بفعل في معنى أقسم على سبيل الاستعطاف كقولك: بالله أخبرني[2]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ التوبة: ٦٥

المقسم: المنافقون

فعل القسم :يحلفون

حرف القسم : الباء

المقسم به : الله تعالى

القسم عليه: إنهم لمنكم وما هم منكم

الآية محل الدراسة " ويحلفون بالله " جاءت معطوفة بحرف "الواو" على ما قبلها من أخبار أهل النفاق و المقسم به هو الله سبحانه وتعالى ، فلا يجوز الحلف بغيره ، لأنه إن حلف بغيره دخل في الشك ، و فعل القسم "يحلفون" على وزن يفعلون ، وهو فعل مضارع يدل على التجديد و الاستمرارية ، أما المشددة و "اللام " اللذان يدلان على التوكيد ، وجاءت أيضا مقترنة بحرف النفي "ما" و قد استعمل الفعل "يحلفون" دون غيره من الأفعال و الحروف و الأسماء لأنه يدل على الكذب و الحنث وهذه الصفات لا تليق بالمؤمنين ، والغرض من جملة القسم وجوابه هو تحذير المنافقين [3].

3/حرف التاء:

تختص التاء بالدخول على اسم الجلالة ولا يجوز ذِكرُ فعل القسم معها[4]، والتاء عوض من الواو، ولا يجوز أن نقول: تا الرحمان، ولا تا الرسول ، لأنهما أضعف من الواو ، و إذا

[1] الأساليب الانشائية في النحو العربي ، عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط5، 2001م، ص162.

[2] ينظر ، الايضاح في شرح المفصل ، ابن الحاجب النحوي ، ت موسى بناي العليلي ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1982م،ص328.

[3] حاشية القويني على تفسير الامام البيضاوي و معه حاشية ابن التمجيد، عبد الله محمود عمر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج14، 2001م ، ص227.

[4] ينظر ، مختصر النحو ، عبد الهادي الفضلي ، دار الشروق ، جدّة ، ط7، 1980م، ص216.

كانت عوض منها و العوض ينقص عن المعوض فلزمت أصل القسم وهو بسم الله الأخص إذا كانت أعظم الأشياء [1]

المقسم : إخوة يوسف

حرف القسم : التاء

المقسم به : الله تعالى

المقسم عليه : لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين

الشاهد في هذه الآية الكريمة هو حرف "التاء" وهو في السياق يدل على القسم و الغرض منه التعجب و المقسم به هو الله تعالى و ذلك لعظمته وجلالة سلطانه ، فلا يجوز القسم بغير الله سبحانه و تعالى، فأقسم إخوة يوسف عليه السلام بالمولى عز وجل لما يتضمنه من الصفات الجليلة و العظيمة ، فهذه هي جملة القسم .

أما جملة جواب القسم فهي " لقد علمتم ما جئنا" فيها تأكيد مع النفي ب "ما" فإخوة يوسف حلفوا على أمرين الأول أنّ غرض مجيئهم لم يكن للفساد في الأرض ، بينما الأمر الثاني أنهم ما جاؤوا سارقين ولقد ورد حرف "التاء" في هذا السياق دون غيره من الحروف و الأفعال و الأسماء لكونه مختصا بالله عز وجل فقط.

والغرض من الآية الكريمة هو التنبيه [2]

أنواع القسم :

أولا : القسم الظاهر :

وهو القسم الصريح الجلي و الواضح بإحدى حروف القسم وأفعاله وألفاظه ، أي أن القسم الظاهر يستدل عليه بحرف القسم أو يستدل عليه بالحرف و الفعل معا ، أو يستدل عليه بلفظ من ألفاظ القسم اسماً كا أو مصدراً[3].

---

[1] المرجع نفسه، مختصر النحو ، عبد الهادي الفضلي ، ص218.

[2] المرجع السابق ، تفسير القرآن الكريم وإعرابه و بيانه ، محمد علي طه الدرّة ، مج4، ص 646.

[3] المرجع السابق ، صيغة نفي القسم في القرآن الكريم ، سمية محمد عناية حاج نايف ، ص22.

و القسم الظاهر أيضا هو الذي عُلم لفظه كون الناطق به مقسما ، كأُقسم بالله وأنا حالف بالله [1].

والقسم الظاهر نوعان :

الأول: ما كان جواب القسم فيه جملة خبرية ، وهو الكثير الشائع ، من أساليب القسم كقولهم " بالله لأساعدنّ الضعيف

"قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ الحجر: ٢٧

هذه الآية الكريمة تتضمن قسما بحياة المخاطب و هو النبي الكريم ﷺو هو تعظيم له، و الله سبحانه و تعالى لم يقسم بأحد غير نبيّنا عليه السلام ، و الشاهد في هذه الآية هو حرف " اللام" الدال على القسم ، و قد صرّح به أيضا لفظ القسم " لعمرك" [2].

الثاني: ما كان القسم فيه جملة استثنائية ، وهو القليل الشائع في أساليب القسم و يسمى بالقسم الاستعطافي وتختص به الباء من بين حروف القسم كقولهم " بالله هل ترحم الضعيف[3].

ثانيا : القسم المضمر :

و كذلك شهد الله لأفعلن ،لأنه بمنزلة : علم الله فمن تلك الاسماء قولك : لعمرك لأفعلن ، وعلى عهد الله لأفعلن ، وعلى يمين الله لأفعلن[4].

و القسم المضمر هو ما تقدمه لفظ معناه القسم ، و هو أيضا إذا دلّ عليه الكلام قبله، أو وقع القسم معترضا بين جزئين متلازمين نحو قولك "أنت صادق والله".

---

[1] شرح كتاب الحدود في النحو ، الفاكهي النحوي المكي ، ت المتولي رمضان أحمد الدميري ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط2، 1993م، ص298.

[2] المرجع السابق صيغة نفي القسم في القرآن الكريم ، سمية محمد عناية نايف ، ص22

[3] المرجع نفسه ، صيغة نفي القسم في القرآن الكريم ، سمية محمد عناية نايف ، ص 22

[4] المرجع السابق ، المقتضب ، للمبرد ، ص 324.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴿٨٣﴾ ﴾ ال بقرة:٣٨

الشاهد في هذه الآية الكريمة هو لفظ "ميثاق " جاء في معنى القسم ،أي دلّ على القسم وهو قسم مضمر ، و قوله تعالى" لا تعبدون إلا الله" هو جملة جواب القسم وهو أمر بعبادة الله سبحانه و تعالى وحده ، ونهى عن الكفر والشرك به ، وأنّ أساس الدين القويم هو الإيمان بالله وطاعة أوامره واتباعها و النهي عن نواهيه ، لأنه الحق سبحانه تعالى على عباده[1]، و الغرض من الآية الكريمة هو تعظيم الله تعالى.

أغراض القسم:

- تأكيد الخبر و تقريره، و تلك عادة العرب الذين كانوا يقطعون كلامهم بالقسم لأن القصد بالقسم تحقيق الخبر و تأكيده[2]، و هذا الغرض يظهر لنا إذا علمنا أن القسم عليه كثيرا ما يكون من الأمور الخفية الغائبة ، فيقسم عليها لإثباتها ، مثل **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ ﴾ القيامة: ١ - ٣

فالقسم في كلام الله يزيل الشكوك و يحبط الشبهات و يقيم الحجة و يقرر الحكم في أكمل صورة[3].

- لفت الأنظار إلى الكون و ما يحويه من أسرار عجيبة ، و ما فيه من نظام بديع محكم[4] إذ كلٌّ يجري إلى أجل مسمى ، و كلٌّ في فلك يسبحون ، القسم في القرآن الكريم على هذه الأمور لأجل ذلك.

---

[1] ينظر ، تيسير الكريم الرحمان ، عبد الرحمان بن ناصر ، ت عبد الرحمان بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 2002م، ص57.

[2] المرجع السابق ، الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي، ج4،ص132.

[3] مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط3، 1996م ، ص291.

[4] لغة القرآن الكريم ، د عبد الجليل عبد الرحمان ،مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، ط1، 1981م، ص 268.

- إبراز العقول في صورة المحسوس، وذلك أن الأمر المعقول إذا صوّر في شيء حسي فإن العقل يستوعبه ، أكثر ما لو كان مجردا عن الحس و مثله تشبيه الوحي في رابعة النهار و تشبيه الباطل بالليل ، وانتصار الحق بالنهار ، و إشارة إلى أن الليل البهيم لابد أن يعقبه صبح مشرق بهيج يبدد ظلماته و ظلامه
- تصحيح العقائد الباطلة ، فالقسم بالنجم إذا هوى والكواكب وبالشمس والقمر فيه ردّ على من إعتقد أنها آلهة ، وأن لها تصرفا في العالم السفلي.
- لفت الأنظار إلى أحداث بارزة ،كان لها أكبر الأثر في تاريخ البشر وذلك الغرض يظهر في القسم بالأمكنة مثل (الطور) فالقسم به فيه إشارة إلى ما كان عند ذلك الجبل من الآيات التي ظهرت لموسى عليه السلام ، و القسم بالبلد الأمين (وهذا البلد الأمين) فيه إشارة إلى حادثة ظهور النور المحمدي من هذا البلد الأمين ، ذلك النور الذي بدّد ظلمات الجهل و الضلال ، ثم شعّ في آفاق الدنيا .[1]

[1] الكشف و البيان في علوم القرآن ، سمير عبد العزيز ، مطلعة دار البيان ، مصر ،1988م ص 285-287.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلِّف و المؤلَّف

المطلب الأول : التعريف بالمؤلِّف

المطلب الثاني : التعريف بالمؤلَّف

بما أن النموذج المدروس في هذا العمل هو الإمام ابن القيم رحمه الله و كتابه التبيان في أيمان القرآن ، فقد خصصت هذا المبحث لتعريف بالامام و اعطاء لمحة عنه و عن كتابه ، و قد اشتمل هذا المبحث على (الحياة الشخصية لابن القيم و عقيدته و منهجه)و(التعريف بالكتاب و منهجه في تأليفه و أهم المصادر التي اعتمد عليها) و هذا إجمال تفصيله كالآتي:

المبحث الأول : التعريف بالمؤلِّف و المؤلَّف

المطلب الأول : التعريف بالمؤلِّف

الفرع الأول : اسمه و نسبه :

هو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير بن مكي زين الدين الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير ب "ابن القيم الجوزية "[1]

أما جده الأعلى فهو "مكي" الملقب " زين العابدين"، أما "الزرعي" بضم الزاي المعجمة نسبة إلى قبيلة "زرع" قرية صغيرة من بلاد حيران جنوبي دمشق و هي منطقة ذات قرى كثيرة و مزارع[2].

الفرع الثاني : مولده و نشأته

تتفق كتب التراجم على أن ولادته كانت سنة 691هـ ، وفي كتاب وافي بالوفيات للصفديّ أن مولده كان في السابع صفر من ذلك العام[3].

ولد ابن القيم في بيت صلاح وعلم ، فتربى فيه و نشأ على حب العلم و تقديره وتعلُّمُهُ و تعليمُهُ ، فأسرته كانت المصدر الأول في شحن همته لطلب العلم ، فقد كان أبوه أبو بكر بن أيوب قيّم الجوزية (ت723هـ) رجلا صالحا متعبدا قليل التكلف و يعتبر أبوه المعلم

[1] الوافي بالوفيات ، الصفدي ،دار الاحياء التراث، بيروت ، 2000م ، ص20

[2] الأنساب ، السمعاني ، دار المعارف العثمانية ، حيدر اباد ،ط1، 1962م، ص287.

[3] المرجع السابق ، الوافي بالوفيات ، الصفديّ ، ص 21.

الأول. فالطفل الذي تربى في حجر الوالد يكون متحليا بهذه الصفات العظيمة لا يجري منه إلا أن يكون على خير وصلاح ونشأة حسنة.

و مما يدل على أنه نبت نباتا حسنا أنه قد استطاع أن يبدأ بالسماع على الشيوخ و هو في سن مبكرة لم يبلغ السابعة بعد. [1]

سبب شهرته بابن القيم :

اشتهر هذا الإمام بين أهل العلم المتقدمين منهم و المتأخرين ب (ابن القيم الجوزية) و قد يختصر بيضهم و يقول (ابن القيم) .

تتفق كتب التراجم على أن المشتهر بهذا اللقب (قيم الجوزية) هو والد هذا الإمام : الشيخ أبو بكر ابن أيوب الزرعي ، إذ كان قيما على المدرسة الجوزية بدمشق مدة من الزمن ، فقيل له : قيم الجوزية و اشتهرت ذريته واحفاده بهذا اللقب من بعد ذلك.

ولا تعطينا كتب التراجم عن هذه القوامة أكثر مما ذكر ، ولعلّ هذا لوضوح الحال ، و توارد المعنى اللغوي للقيم على الاصطلاحي .

إذ القيم في اللغة هو : الشخص سائر الأمر القائم عليه بما يصلحه.[2]

و في كلام أهل الاصطلاح : فهو بمعنى الناظر و الوصي ، فيقال ناظر المدرسة ووصيها وقيّمها كلها بمعنى واحد.[3]

الجوزية : و هي نسبة إلى إحدى مدارس الحنابلة بدمشق ، واقفها محيي الدين يوسف بن عبد الرحمان بن علي بن محمد ابن الجوزي الحنبلي المتوفى (656هـ) فاشتهرت بالجوزية نسبة إلى واقفها.

---

[1] ابن القيم الجوزية الداعية المصلح والعالم الموسوعي ، صالح أحمد الشامي ، دار القلم ، دمشق ،2008م، ص38.

[2] البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد علي الشوكاني ، ت محمد حسن حلاق ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط1، 2006م، ص153.

[3] المرجع نفسه ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد علي الشوكاني ، ص 153

الفرع الثالث: شيوخه و تلاميذه

أولا : شيوخه :

إن التعرّف على شيوخ العالم تساعد في إلقاء الضوء عليه و تصوّر أفضل عن مواهبه ، وتبرز مصادر تكوينه العلمي ، و من هؤلاء الشيوخ :

1/ **والده قيم الجوزية** : و كان له في علم الفرائض اليد الطولى ، و عنه أخذها ابنه[1] .

2/**الشهاب العابر**: أبو عباس أحمد بن عبد الرحمان بن عبد المنعم بن نعمة النابلسي الحنبلي، ولد ليلة الثلاثاء عشر شعبان سنة (628هـ) ، فقيه إمام وعالم في علم التعبير ، وله مصنف كبير في هذا العلم سماه " البدر المنير " توفي سنة(698هـ)و دفن في تربة باب الطيب بباب الصغير ، و هو أول أستاذ سمع منه ابن القيم.[2]

3/سليمان بن حمزة الحاكم: وهو مسند الشام قاضي القضاة تقي الدين ابو الفضل سليمان بن حمزة ابن قدامة المقدسي ثم الصالحي الحنبلي ، ولد سنة (628هـ)و توفي سنة (715هـ) ، شيوخه بالسماع نحو مائة شيخ وبالإجازة أكثر من سبعمائة[3].

4/ **ابن عبد الدائم** : أبو بكر المنذر بن زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي الحنبلي ، سمع منه ابن القيم الحديث ، توفي سنة(718هـ).[4]

5/ شرف الدين ابن تيمية : المفتي الزاهد القدوة ، شرف الدين عبد الله بن عبد الحليم ، ولد سنة666هـ بحرّان ، سمع المسند و الصحيحين و كتب السنة و برع في الفرائض و الحساب و العربية ، توفي سنة (727هـ).[5]

---

[1] المرجع السابق ، الوافي بالوفيات ، الصفدي، ص 195.

[2] شذرات الذهب ، ابن عماد الحنبلي ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط5، 1986م ، ص438.

[3] المرجع نفسه، شذرات الذهب ، ابن عماد الحنبلي ، ط6، ص35.

[4] المرجع نفسه، شذرات الذهب ، ابن عماد الحنبلي ، ط6، ص 48

[5]المرجع السابق ، شذرات الذهب ، ابن عماد الحنبلي ، ط6، ص76

6/ الصفيّ الهندي : صفيّ الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم الهندي الشافعي ، مولده بالهند(644هـ) قدم مصر ثم دمشق سنة(685هـ)،كان ذا دين و تعبد وحسن و اعتقاد توفي بدمشق(715هـ) أخذ عنه ابن القيم الأصلين ، أصول الفقه و التوحيد.[1]

7/ المجد الحرّاني : مجد الدين اسماعيل بن محمد الفراء الحراني ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي ولد سنة(645هـ)بحران ، كان عالما بالفقه و الحديث و أصول الفقه و الفرائض و الجبر و المقابلة ولد سنة(729هـ)و دفن بمقابر باب الصغير .[2]

وممن ذكرتهم التراجم في عداد شيوخه

8/ قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة الحموي المتوفي سنة(733هـ)

9/ عبس شرف الدين بن عبد الرحمان المطعم المتوفي سنة(719هـ)

10/ أبو نصر محمد بن عماد الدين الشيرازي المتوفي سنة(714هـ)

11/ إسماعيل أبو الفداء بن يوسف بن مكتوم المتوفي سنة(716هـ)

12/ أيوب زين الدين ابن نعمة النابلسي ثم الدمشقي الكحال المتوفي سنة(730هـ)

13/ فاطمة بنت الشيخ ابراهيم جوهر البطائحي البعلي المسند المحدثة توفيت سنة(711هـ)

ثانيا : تلاميذه

إن ذكر تلاميذ العالم يبين أثره في المجتمع قال ابن رجب" وأخذ عنه العلم خلق كثير في حياة شيخه وإلى أن مات وانتفعوا به وكان الفضلاء يعظمونه ويسلمون له" [3].

ومن تلاميذه

[1] المرجع نفسه، شذرات الذهب ، ابن عماد الحنبلي ، ط6، ص37

[2] المرجع نفسه، شذرات الذهب ، ابن عماد الحنبلي ، ط6،ص89

[3] المرجع السابق ،شذرات الذهب ، ابن عماد الحنبلي ،ط6،ص169

1-ابنه ابراهيم

2-ابنه عبد الله

3- ابن كثير: الحافظ الكبير عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي ولد سنة(700هـ) وتوفي سنة(774هـ)ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية .[1]

4- ابن رجب: الحافظ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي ،الشهير ب "ابن رجب " قال في ترجمته لابن القيّم "أبو عبد الله ابن القيم الجوزية شيخنا... لازمت مجالس قبل موته أزيد من سنة ، وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة في السنة ، وأشياء من تصانيفه وغيرها "[2]، وتوفي بدمشق سنة(795هـ).[3]

5- السبكي : الإمام تقي الدين أبو الحسن ، علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي ، المفسر الحافظ الأصولي ، ولد سنة(680هـ) صنّف نحو مائة وخمسين كتابا ، توفي بمصر سنة (752هـ[4])

6- النابلسي : محمد بن عبد القادر بن عثمان النابلسي الحنبلي ، ولد بنابلس ، ورحل إلى دمشق له مصنفات حسنة منها مختصر طبقات الحنابلة ،وصحب ابن القيم ، فقرأ عليه أكثر تصانيفه توفي سنة(797هـ)[5].

7/ قاضي الجماعة بفاس : محمد بن احمد بن أبي بكر بن يحي بن عبد الرحمان القرشي ، أبو عبد الله التلمساني ، قاضي الجماعة بفاس ، ذكر ترجمته السيوطي في "بغية الوعاة " ، فقال "أخذ بمصر عن أبو حيان بدمشق عن شمس ابن الجوزية " توفي سنة(759هـ)[1]

---

[1] المرجع نفس ،شذرات الذهب ، ابن عماد الحنبلي ، ط6، ،ص231

[2] ذيل طبقات الحنابلة ، ابن رجب الحنبلي ، ت عبد الرحمان ابن سليمان العثيمين ، مكتبة العبيكان ، الرياض، ط2، 2005م،ص447

[3] المرجع السابق ، شذرات الذهب ، ابن عماد الحنبلي ، ط6،ص339

[4] المرجع نفس ، شذرات الذهب ، ابن عماد الحنبلي ،ط6،ص 180

[5] المرجع السابق ، شذرات الذهب ، ابن عماد الحنبلي ، ط6،ص349

وممن ذكر في عدد تلاميذ الإمام ابن القيم :

8/ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الشافعي المتوفى سنة 745هـ.

9/صلاح الدين الصفدي خليل بن أبيك بن عبد الله الشافعي المتوفى سنة 764هـ

10/ قاضي القضاة علاء الدين علي بن إسماعيل القزويني الشافعي المتوفى سنة 729هـ.

11/الغزي محمد بن محمد الغزي القرشي الشافعي المتوفى سنة 808هـ.

12/ الفيروز آبادي محمد بن يعقوب أبو الطاهر صاحب القاموس المتوفى سنة 817هـ.[2]

الفرع الرابع . أعماله

ذكر مترجمو الإمام ابن القيم الكتب التي ألّفها وزاد بعضهم على بعض في تعدادها ، فبلغ مجموع هذه الكتب 98كتابا ، بعضها مطبوع وبعضها لم يطبع ، ولعل السبب في ذلك هو عدم العثور على مخطوطاته ، ويحسن بنا أن نذكر اسماء الكتب المطبوعة وغير المطبوعة ، حتى تكون الصورة واضحة عن غزارة الانتاج وتنوع الموضوعات التي تناولها بالتأليف"[3]

أولا : الكتب المطبوعة :

1-اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة و الجهمية .

2-احكام اهل الذمة (في مجلدين)

3-إعلام الموقعين عن رب العالمين (في اربعة مجلدات)

4-أسماء مؤلفات ابن تيمية.

5-إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (في مجلدين)

---

[1] كتاب الروح ، يوسف علي يديوي ، دار ابن كثير ، بيروت ، 1998م ،ص 26

[2] المرجع السابق ، الامام ابن القيم الجوزية الداعية المصلح والعالم الموسوعي ، صالح احمد الشامي ، ص55

[3] المرجع السابق ، الامام ابن القيم الجوزية الداعية المصلح والعالم الموسوعي ، صالح احمد الشامي ،ص113

6-إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان

7-بدائع الفوائد (في مجلدين)

8-التبيان في أيمان القرآن

9-تحفة المورود في أحكام المولود

10-تهذيب مختصر سنن أبي داود

11-جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام

12-حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح

13-الداء و الدواء

14-الرسالة التبوكية

15-روضة المحبين ونزهة المشتاقين

16-الروح

17-زاد المعاد في هدى خير العباد (خمسة مجلدات)

18-شفاء العليل في مسائل القضاء و القدر و الحكمة و التعليل (مجلدان)

19-الصواعق المرسلة في الجهمية و المعطلة

20-طريق الهجرتين وباب السعادتين

21-الطريق الحكمية في السياسة الشرعية

22- عدة الصابرين و ذخيرة الشاكرين

23-الفروسية

24-الفوائد

25-الكافية الشافية في الانتصار للفرق الناجية (قصيدة النونية)

26-الكلام على مسألة السماع

27-الكلم الطيب والعمل الصالح

28-مدارج السالكين بين منازل إليك نعبد وإليك نستعين (ثلاث مجلدات)

29-مفتاح دار السعادة ومنشور ألوية العلم والإرادة (ثلاث مجلدات)

30-المنار المنيف في الصحيح و الضعيف

31-هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى

32-كتاب الصلاة وحكم تاركها

ثانيا : الكتب التي لم تطبع:

1-الاجتهاد و التقليد

2-أصول التفسير

3-الاعلام باتساع طرق الأحكام

4-اقتضاء الذكر بحصول الخير و دفع الشر

5-الأمالي المكية

6-أمثال القرآن

7- الايجار

8-بطلان الكيمياء من أربعين وجها

9-بيان الاستدلال على بطلان اشتراط محلل السياق والنضال

10-التحير لما يحل ويحرم من لباس الحرير

11-التحفة المكية

12-تحفة النازلين بجوار رب العالمين

13-تدبير الرئاسة في القواعد الحكمية بالذكاء و القريحة

14-التعليق على الاحكام

15-تفصيل مكة على المدينة

16-الجامع بين السنن و الآثار

17-جواب عبادي الصلبان وأن ما هم عليه دين شيطان

18-الجواب الشافي لمن سأل عن ثمرة الدعاء إذا كان ما قد قدر واقع

19-الحامل هي تحيض ام لا؟

20-الحاوي

21-حرمة السماع

22-حكم اغمام هلال رمضان

23-حكم تفضيل بعض الأولاد على بعض العطية

24-دواء القلوب

25-ربيع الابرار في الصلاة على النبي المختار

26-الرسالة الحلبية في طريق المحمدية

27-الرسالة الشافية في أحكام المعوذتين

28رسالة ابن القيم على أحد اخوانه

29-رفع التنزيل

30-رفع اليدين في الصلاة

31-الروح و النفس

32زاد المسافرين إلى منازل السعداء في هدى خاتم الأنبياء

33-البدعة و السنة

34-اسماء الكتاب العزيز

35-شرح الأسماء الحسنى

36-الصبر و السكن

37-الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم

38-الطاعون

39-طب القلوب

40طريقة البصائر إلى حديقة السرائر في نظم الكبائر

41-طلاق الحائض

42-عقد محكم الأحباء بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع إلى رب السماء

43- الفتاوى

44-الفتح القدسي

45-الفتح المكي

46-الفتحات القدسية

47-الفرق بين الخلة و المحبة و مناظرة الخليل لقومه

48-الفروسية الشرعية

49-فضل العلم و أهله

50-فوائد في الكلام على حديث الغمامة وحديث الغزالة والضب وغيره

51-قرة عيون المحبين وروضة قلوب العارفين

52-الكافية الشافية في النحو

53-الكبائر

54-كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء

55-اللمحة في الرد على ابن طلحة

56 -المسائل الطرابلسية

57-معاني الأدوات و الحروف

58-مقتضى السياسة في شرح نكت الحماسة

59-المورد الصافي في الظل الوافي

60-مولد النبي صلى الله عليه و سلم

61-المهدي

62-المهذب

63-نقد المنقول والمحك المميز بين المقبول و المردود

64-نكاح المحارم

65-نور المؤمن وحياته

66-واضح السنن

وعندما ننظر إلى هذه الأسماء نجد أن بعض العناوين تكررت تحت عناوين متعددة (كالأمالي المكية والتحفة المكية والفتح المكي) فربما كانت هذه كتابا واحدا (الفتح القدسي والفتوحات القدسية)

ونرى بعضها عبارة عن رسائل صغيرة مثل (التحبير لما يحل ويحرم من لباس الحرير) و (نكاح المحرم) ، فإن هذا العدد الكبير من الكتب المطبوعة و المخطوطة ليدل دلالة واضحة على مكانة المؤلف رحمه الله وسعة معلوماته وتنوعها.[1]

الفرع الخامس : عقيدته و مذهبه

إن معظم كتب التراجم تصف الامام ابن القيم ب (الحنبلي)[2] وذلك لأنه نشأ في مدارس هذا العلم ، يضاف إلى ذلك أن أسرته التي ولد فيها تتمذهب به أيضا ، ولهذا المعنى تبوّأ والده على منصب المدرسة الجوزية.

ولكن ابن القيم بعد أن شبّ واتصل بشيخ الاسلام ابن تيمية (ت728هـ)* حصل تحول في حياته العلمية ، لا بمعنى أنه ترك المذهب ، وإنما أصبح يُعنى بالدليل الذي هو

[1] المرجع السابق ، الامام ابن القيم الجوزية الداعية المصلح والعالم الموسوعي ، صالح أحمد الشامي،ص121.

[2] المرجع السابق ، شذرات الذهب ، ابن عماد الحنبلي ، ص 439

* ابن تيمية : محمد بن الخضر بن محمد بن الحضر الحراني : الشيخ الامام العلامة المفتي المفسر الخطيب البارع ، عالم حران ، من مؤلفاته : الجوامع و السياسة الشرعية و الفتاوى و الايمان و الجمع بن النقل و العقل ، توفي (728هـ) /ينظر الأعلام لزركلي ، ج1، ص144.

الكتاب و السنّة، فأصبح يدور مع الدليل حتى ولو كان ذلك مخالفا لمذهبه ، وهي خطوة متقدمة منه سار فيها على طريق شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية (ت728هـ) ، في وقت كان أهل كل مذهب يتعصّبون لمذهبهم بعيدا عن اعمال الفكر أو النظر إلى الدليل...والمتقدم منهم هو الذي ينظر في أدلة المذهب ويفاضل بينها ، وعندها يصبح مجتهدا مقيّدا بالمذهب.

ولكن ابن القيم كشيخه تجاوز هذا المقام وأصبح نظره إلى الدليل حيثما كان ، بل أصبح يقدم لكتبه بنصيحة القارئ أن يتبنى هذا المسلك وأن يقبل الحق حيث كان بغض النظر عن قائله.[1]

فأصبح ابن القيم الجوزية بعد اتصاله بشيخ الاسلام ابن تيمية (ت728هـ)سلفياً ، مقررا نهج أهل السنة و الجماعة ، منابذا لأهل البدع و الأهواء ، و من بين المؤلفات العظيمة التي سطرتها براعة منهج أهل السنة و الجماعة " الصواعق المرسلة ، هداية الحيارى ،اجتماع الجيوش الاسلامية، قصيدته النونية الشهيرة" مما يدل دلالة أكيدة لا يتطرق إليها شك واحتمال أنه كان على منهج أهل السنة و الجماعة .[2]

الفرع السادس : وفاته

تتفق الروايات التي ترجمت للإمام ابن القيم على أن وفاته كانت ليلة الخميس في الثالث عشر من رجب وقت آذان العشاء(سنة751هـ)[3]

و صلى عليه من الغد عقب صلاة الظهر بجامع دمشق الكبير الأموي ، ثم بجامع الجراح ، و قد ازدحم الناس على تشييع جنازته ، قال ابن كثير(774هـ) " وقد كانت جنازته

[1] المرجع السابق ، المرجع السابق ، الامام ابن القيم الجوزية الداعية المصلح والعالم الموسوعي ، صالح أحمد الشامي،ص102

[2] التبيان في أيمان القرآن دراسة وتحقيق ، حمزة بن محمد علي آل ياسين عسيري ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير ، كلية الشريعة و الدراسات الاسلامية ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ،2001م،ص 48

[3] البداية و النهاية ، ابن كثير ، ت علي شبري، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط1، 1988م . ص234.

حافلة- رحمه الله تعالى – شهدها القضاة و الأعيان و الصالحون من الخاصة و العامة ، و تزاحم الناس على نعشه و دفن بمقبرة الباب الصغير عند والديه رحمها الله تعالى".[1]

المطلب الثاني : التعريف بالمؤلَّف التبيان في أيمان القرآن

الفرع الأول : اسم الكتاب و موضوعه

أولا : اسم الكتاب

اشتهر هذا الكتاب بتسمية معروفة عند الكثير من اهل العلم وهذه التسمية " التبيان في أقسام القرآن " بل و قد طبع بهذه التسمية ، و بعد النظر في الكتب التي ترجمت للإمام ابن القيم ، وأيضا الكتب التي تتحدث عن العلوم و المصنفات تبيّن أن هذا الكتاب قد عرف بأكثر من تسمية ، وهذه التسميات هي :

- ✓ التبيان في أيمان القرآن
- ✓ أقسام القرآن
- ✓ أيمان القرآن

و قد أشار ابن القيم رحمه الله إلى هذه التسميات في كتابه " الداء و الدواء" فقال رحمه الله "وقد ذكرنا وجه الاستدلال بذلك في كتاب (أيمان القرآن) عند قوله تعالى **قَالَ تَعَالَى:** ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩﴾ الحاقة: ٨٣ - ٩٣[2]

وفي طبعة أخرى" وقد ذكرنا معنى ذلك وسر الأقسام به في كتاب التبيان في أقسام القرآن"[3]

وفي طبعة أخرى" وقد ذكرنا معنى ذلك و سر الإقسام به في التبيان في أقسم القرآن"[4]

---

[1] المرجع السابق ، البداية و النهاية، ابن كثير ، ص235.

[2] الداء و الدواء ، ابن القيم الجوزية ، دار عالم فوائد ، جدة ، ط1، 2008م ، ص56

[3] المرجع نفسه ، الداء و الدواء ، ابن القيم الجوزية ، طبعة دار المدني ، ص271.

[4] المرجع نفسه ، الداء و الدواء ، ابن القيم الجوزية ، طبعة دار الجوزي ، ص309

فهذا الكلام من الامام ابن القيم رحمه الله عن كتابه يدل على أنه سماه باسمه مصرحا به تارة و أخرى مختصرا باسم (أقسام القرآن) و الثالثة باسم (أيمان القرآن) ، فهذا يدل على أنه مسمى الكتاب واحد وليس لكتب متعددة كما وهّم البعض فنجعلها كتابين مثل : البغدادي(ت1339هـ) *في (هدية العارفين)[1]، فقد عدّه كتابين أحدهما باسم "التبيان في أيمان القرآن " و الآخر " أيمان القرآن" ، و عند جمع النسخ المخطوطة لهذا الكتب وُجد أنّه قد سميّ بعدة تسميات وهي :

- ✓ التبيان في أقسام القرآن : كما في نسخة دار الكتب المصرية
- ✓ التبيان في أيمان القرآن :كما في نسخة جامعة برنستون
- ✓ لأقسام القرآن : كما في نسخة المكتبة المحمدية بالمدينة المنورة ، و كما في نسخ من مصورات جامعة الرياض [2]

و بعد النظر في المخطوطات وُجد أن ابن القيم رحمه الله قد سمى كتابه في مقدمته و التي توجد في نسختين خطيتين وهي ساقطة من النسخ الأخرى سماه (التبيان في أيمان القرآن) و بعد وقفة في تعدد التسميات اختير ما سمى ابن القيم به كتابه في مقدمة كتابه وهذه السمية هي (التبيان في أيمان القرآن) و ذلك للأسباب التالية :

- ✓ أن هذه التسمية التي اختارها الامام رحمه الله لكتابه ، و يتضح ذلك من خلال مقدمته.
- ✓ أن هذه التسمية ثابتة في أقدم النسخ و هي نسخة دار الكتب المصرية ، و هي مكتوبة بعد وفاة المؤلف بستة عشر عاما تقريبا ، و مثبت أيضا على طرة نسخة جامعة برنستون أيضا[3]

---

[1] هدية العارفين ، البغدادي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ج2، 1951م ، ص185.

*البغدادي : اسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم البابانى البغدادي ، أديب و مؤرخ عاش في أواخر عصر الدولة العثمانية ، من مؤلفاته: هدية العارفين ، ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، توفي (1339هـ) /ينظر الأعلام ، ج1 ، ص326.

[2] www.ahlalhdeeth.com

[3] المرجع نفسه ، www.ahlalhdeeth.com

ثانيا : موضوع الكتاب :

نجد أن موضوع الكتاب واضح من التسمية ، فهو يتحدث عن القسم أو اليمين في القرآن الكريم ، حيث يذكر ابن القيم الآيات التي ورد فيها القسم ، و يبيّن المقسم و المقسم عليه، و يذكر جواب القسم بعد ذلك إن وجد.

و قد اقتصر المؤلف رحمه الله في كتابه على ذكر القسم الصريح ولم يتعرض لغير الصريح، حيث كان يركز على الناحية الشرعية في القسم وإثبات المقسم عليه مع شيء من الاستطرادات المفيدة و الطويلة أحيانا كما عند قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ ﴾ الذاريات:٢١

وإذا كانت هذه الاستطرادات خارجة عن مقصود الكتاب[1]

الفرع الثاني : توثيق الكتاب و نسبته إلى مؤلفه

هذا الكتاب ثابت نسبته إلى ابن القيم بلا أدنى شك وذلك للأمور التالية:

- ✓ نسب هذا الكتاب إلى نفسه ابن القيم، فقد أشار رحمه الله إلى أنه ألّف كتابا في أقسام القرآن، بل و أشار إلى بعض ما كتبه فيك كما تقدم عن الحديث عن تسمية الكتاب.
- ✓ أغلب من ترجم للإمام ابن القيمة يذكر هذا الكتاب من ضمن مؤلفاته وهذا يدل دلالة واضحة على شهرة الكتاب وصحة نسبته إليه.
- ✓ نقل بعض العلماء منه ، وممن نقل عن ابن القيم رحمه الله : الإمام السيوطي(ت911هـ) *في كتابه الجامع المانع " الإتقان في علوم القرآن " في النوع السابع و الستون (في أقسام القرآن) حيث ذكر في البداية أن لابن القيم كتابا أفرده بالتصنيف في هذا الموضوع و أنه في مجلد.

---

[1] المرجع السابق ، www.ahlalhdeeth.com

*السيوطي: عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي جلال الدين ، إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو 600مصنف منها الكتاب الكبيرة و الرسالة الصغيرة ، من مؤلفاته بغية الوعاة ، الاتقان في علوم القرآن ، توفي (911هـ)/ ينظر: شذرات الذهب ، ج8، ص51.

الفرع الثالث : منهج المؤلف في كتابه

لاشك أن الامام ابن القيم رحمه الله قد أبدع وأجاد في هذا الكتاب ، و ليس هذا الأمر بمستغرب عليه ، فهو جبل راسخ من جبال العلم .

أولا: سلك المؤلف رحمه الله المسلك الاستقرائي * للآيات التي ورد فيها القسم وأعطى خلاصة مفيدة عن القسم في القرآن ، فبيّن أن الله سبحانه يقسم بأمور على أمور، فهو سبحانه يقسم بذاته الموصوفة و بصفاته العليا ، و بآياته الدالة على قدرته العظيمة وإقسامه ببعض مخلوقاته ، يدل على أنها من عظيم آياته ثمّ بيّن المقسم عليه [1] و هو :

أ/ قسمه على التوحيد : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥ ﴾ الصافات: ١ – ٥

ب/قسمه على أن القرآن حق : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ ﴾ ص: ١

ج/ قسمه على أن الرسول حق: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٩ ﴾ الحاقة: ٨٣ - ٩٣

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ ﴾ القلم: ١ - ٢

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ ﴾ النجم: ١ - ٢

د/ قسمه على الجزاء و الوعد و الوعيد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ۝٢٣ ﴾ الذاريات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ ﴾ ١ – ٧

---

* المنهج الاستقرائي : هو المنهج الذي يستخدم من أجل إصدار الأحكام و صنع النظريات العلمية المختلفة ، عن طريق جمع المعلومات واستخدام المعطيات من وسائل جمع البيانات حيث ينتقل من النظرة الجزئية للبيانات المتعددة و المتفرقة ، إلى النظرة الكلية الشاملة التي تمثل النظرية الأم .

[1] المرجع السابق ، التبيان في أيمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ، ص13

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨﴾ الطور: ١ – ٨

هـ/ قسمه على حال الناس : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ الليل: ١ – ٤

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٦﴾ التين: ١ – ٦

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ۝٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ۝٥ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦﴾ العاديات: ١ – ٦

ثم تحدث عن جواب القسم وأنه قد يحذف تارة وقد يذكر تارة أخرى لأنه قد علم بأنه يقسم على هذه الأمور (التوحيد ، النبوة ، المعاد)

ثانيا : ذكر الآيات التي ورد فيها القسم على سبيل الاختصار ، مع بيان القسم و المقسم عليه و جواب القسم أو كان مذكورا أو محذوفا.

فمن هذا قوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ ص: ١ فإن في المقسم به من تعظيم القرآن ووصفه بأنه ذو الذكر المتضمن لتذكير العباد ما يحتاجون إليه . و للشرف و القدر ما يدل على المقسم عليه و هو كونه من عند الله غير مفتري كما يقول الكافرون ، و أن الجواب محذوف تقديره إن القرآن لحق وهذا مطرد في كل ما شابه ذلك [1]

ثالثا : التفصيل بعد الإجمال حيث ذكر كل آية ورد فيها القسم ، بل لم يكتف بذلك بل إنه فسّر هذه الآيات وذكر أقوال السلف فيها ، بل رجح غالبا في المعنى المراد من الآية.

رابعا: كثرة الإستشهادات التي استشهد بها المؤلف على كثير من كلامه وهذه الإستشهادات إمّا بالآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية و التي تدل على علم واسع بالقرآن و

[1] المرجع السابق ، التبيان في أيمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ، ص15

السنة، إما بكلام السلف وهو كثيرا ما ينقل عنهم معاني الآيات و المراد بها ، و إما بكلام أهل اللغة و أهل الشعر لأن العربية هي لغة القرآن .

و من ذلك إقسامه سبحانه ب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾ الطارق:١ و قد فسره بأنه " النجم الثاقب" الذي يثقب ضوؤه [1]

و المقصود أنه سبحانه أقسم بالسماء و نجومها المضيئة ، و سمى "النجم" طارقا لأنه يظهر بالليل بعد اختفائه بضوء الشمس ، فشبّه بالطارق الذي يطرق النّاس أو أهله ليلا ، قال الزجّاج و المبرّد لا يكون الطارق نهارا " [2] ، و قال الفراء" ما أتاك ليلا فهو طارق"[3] .

الفرع الرابع : المصادر التي اعتمد عليها المؤلّف :

"جمع الله سبحانه و تعالى للإمام ابن القيم رحمه الله من الحفظ و الذكاء و القوة و الذاكرة و كثرة الاطلاع وجمع الكتب مالا يتوفر لغيره ، بل كان رحمه الله أيضا جيّد التصنيف و لو كان كتبه كما في كتابه الجميل الرائع (زاد المعاد) فقد ألّفه في سفره [4]

ومن مصادر التي اعتمد عليها ابن القيم في كتابه " التبيان"

1/القرآن الكريم و السنة النبوية : فلا غنى لمؤلف وكاتب عنها أبدا .

2/كتب التفسير و علوم القرآن : الكشاف لزمخشري ، تفسير البسيط للواحدي ، معاني القرآن للفراء ، معاني القرآن لنحاس ، معاني القرآن للأخفش ، معاني القرآن و إعرابه لزجّاج ، مجاز القرآن لأبي عبيدة .

3/ كتب اللغة و علومها : تهذيب اللغة للأزهري ، الصحاح للجوهري .

4/ كتب الفقه و أصول الفقه : الروايتين و الوجهتين للقاضي الحنبلي ، التمهيد للإمام ابن عبد البر ، الرسالة للإمام الشافعي.

5/ نقولات عن شيخه ابن تيمية

---

[1] ينظر ، مفردات القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ت صفوان عدنان داوودي، دار القلم ، عمان ، 2009م ،ص174.

[2] معاني القرآن ، الزجّاج ، ت عبد الجليل عبده شلبي ، مج5، 1988م ،ص 310.

[3] المرجع نفسه ، معاني القرآن ، الزجّاج ، مج3، ص245.

[4] ينظر ، الامام ابن القيم الجوزية الداعية المصلح والعالم الموسوعي ، صالح أحمد الشامي ، ص105

6/ نقولات من كتبه ابن القيم : روضة المحبين ، زاد المعاد ، الصواعق المرسلة ، شفاء العليل ، هداية الحيارى .

7/كتب القراءات : الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي.

8/نقله في من ألّف في الطب : الاحكام النووية في الصناعة الطبية لعلي بن عبد الكريم الحموي ، الطب النووي للإمام الذهبي .

هذه بعض ملامح منهج الإمام لابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه و مصادره [1]

الفرع الخامس : أهمية الكتاب

نزل القرآن الكريم بلغة العرب كما أخبر بذلك منزله سبحانه و تعالى بقوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء: ٢٩١ - ٥٩١

و العرب اتخذت أساليب في كلامها لأغراض و حكم و عبروا عنها في أقوالهم النثرية و منها الشعرية ، و من الأساليب العربية الشائعة : القسم ، و مما يؤكده هذا الكتاب الذي ألفه ابو إسحاق النجيرمي(355هـ)* و هو كتاب " أيمان العرب في الجاهلية "و هو كتاب مطبوع.

و لما لهذا الأسلوب العربي من قوّة ، و لكن القرآن الكريم نزل بلغة العرب ، ألّف العلماء المؤلفات التي تبرز هذا الأسلوب و تبيِّنُهُ أشدّ البيان.

و قد أدلى ابن القيم بدلوِهِ في هذا المجال ، فألّف كتابه هذا الموسوم (التبيان في أيمان القرآن) و حاز به قصب السبق .

ولعلّ أهمية هذا الكتاب تبرز من النواحي التالية :

✓ أولا: كونه الكتاب الوحيد الذي وصل إلينا في هذا الموضوع ، و إن كان هناك من سبقه من المتقدمين في التأليف منهم : عبد الله بن ذكوان (ت242هـ) *من مشاهير

[1] المرجع السابق ، www.ahlalhadeeth.com/16/03/2020

* النجيرمي: أبي اسحاق ابراهيم بن عبد الله النجيرمي ، نسبته إلى نجيرم بالبصرة ، صاحب كتاب أيمان العرب في الجاهلية توفي (355هـ) / ينظر الأعلام، خير الدين الزركشي، ج1، ص49.

*بن ذكوان: أبو الزناد عبد الله بن عبد الرحمان القرشي المدني ، من علماء الاسلام و أئمة الاجتهاد (ت131هـ)/ ينظر سير أعلام النبلاء ، الحافظ الذهبي ، ج06، ص161.

القراء في كتابه (أقسام القرآن وأجوبتها) و لم يصلنا هذا الكتاب ، وممن كتب فيه بعد الإمام رحمه الله من المتأخرين محمد بن طولون (ت953هـ)* في كتابه (خلاصة البيان في أيمان القرآن) ، و ممن كتب فيه أيضا الشيخ حميد الدين عبد الحميد الفراهي الأنصاري الهندي (ت1349) *في كتابه (إمعان في أقسام القرآن) وهو مطبوع عدة طبعات[1].

- ✓ ثانيا : عدم اقتصار الإمام ابن القيم رحمه الله على أركان القسم فقط في حديثه على آيات القسم ، بل أفاض من عمله في تفسير الآيات التي عرض لها ذاكرا اختلاف أوجه النظر في بعض الآيات ، و مرجحا لما يراه الصواب من تلك الأقوال مع تدعيمه بذلك بالأدلة.
- ✓ ثالثا : أظهر الإمام ابن القيّم رحمه الله في حديثه عن القسم بلاغة النص القرآني وفصاحته وما يتضمنه ذلك القسم من أحكام شرعية ، ودعّم ذلك بما يشهد له من القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، ومن لغة العرب ، وكذلك من أقوال أهل العلم
- ✓ رابعا : اقتصار المؤلف رحمه الله في كتابه على الكلام على القسم الصريح ، واغفاله الحديث عن القسم الغير صريح ، ولعل ذلك لأن أكثر الأقسام غير الصريحة جاءت مقترنة بالشرط ، وهو إنما قصد في كتابه القسم الصريح ودلالاته فقط [2]

هذه بعض الأمور التي تدل عل أهمية هذا الكتاب، ولعلّ المتأمل لهذا الكتاب والقارئ فيه يجد أمورًا أخرى.

---

* بن طولون : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الشهير بابن طولون الدمشقي الحنفي ،كان فقيها و نحويا و مؤرخا ، من مؤلفاته القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، توفي (953هـ) بدمشق / ينظر: شذرات الذهب،ج8/ص298.

*الفراهي: عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر بن تاج علي أبو أهمد الأنصاري الفراهي ،توفي (1349هـ) / ينظر : كتاب مفردات القرآن ، عبد الحميد الفراهي ، ص13

[1] المرجع نفسه ، www.ahlalhadeeth.com/16/03/2020

[2] المرجع السابق ، www.ahlalhadeeth.com/16/03/2020

المبحث الثاني : مقارنة دلالة القسم عند الامام ابن القيم من خلال كتابه " التبيان في أيمان القرآن" و الامام الطاهر بن عاشور من خلال كتابه " التحرير و التنوير" :

المطلب الأول : القسم على التوحيد

المطلب الثاني : القسم على أن القرآن حق

المطلب الثالث : القسم على أن الرسول حق

المطلب الرابع : القسم على الجزاء و الوعد و الوعيد

المطال الخامس : القسم على حال الانسان.

بعد التعريف بمصطلحات القسم و معرفة أنواعه و أركانه، و بعد ترجمة الامام ابن القيم و ترجمة كتابه، خصصت هذا المبحث للمقارنة بين تفسير الامام ابن القيم و الامام الطاهر بن عاشور لآيات القسم في القرآن ، و قد فصلت هذا المبحث كالآتي:

المبحث الثاني مقارنة دلالة القسم عند الامام ابن القيم من خلال كتابه " التبيان في أيمان القرآن" و الامام الطاهر بن عاشور من خلال كتابه " التحرير و التنوير" :

إن للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في جميع كتله منهجه العام و الخاص، فأما المنهج العام فطريقته التي سلكها في تآليفه حتى غدت واضحة المعالم بيّنة الملامح ، من اعتماده على نصوص الكتاب و السنة و تقديمه لأقوال الصحابة و السلف ، وقوة الحجة و طول النفس في تقرير المسائل مع مراعاة المقاصد و الحكم و اطراح الشاذ و الضعيف و المنكر من الآراء و الأقوال و المذاهب كل ذلك بأسلوب ممتع و جذاب ، و أما المنهج الخاص فهو ما سلكه في كل كتاب على حداً بما يناسبه و يلائمه ، فإنه رحمه الله كتب في أغلب فنون الشريعة و كل فن لمسائله ذوقها و لأهله لغتهم ، كل هذا سنستخلصه من خلال كتابه " التبيان في أيمان القرآن" لما نجري بينه و بين كتاب " التحرير و التنوير " لطاهر بن عاشور(ت1393هـ) بخصوص تناولهما لآيات القسم ، و هو الآخر رحمه الله بن عاشور لكتابه" التحرير و التنوير " مميزات يجدها قارئه من كثرة الوقفات اللغوية ووفرة الإستشهادات على المعاني و طول النفس في معالجة الألفاظ و التراكيب على أسس لغوية ودلالية و يتضح له بعد ذلك أن المحصول اللغوي عند ابن عاشور كان يعتمد على سعة المعارف اللغوية لاطلاعه العميق على كتب اللغة و المعاجم و الأشعار و شروحها و غيرها من جهة ، و إلى ملكة الشيخ الحادة و الوعي التام لما يستوعبه.

و لكي يسهل علينا إجراء المقارنة بين منهجي الشيخين في دراستهما لآيات القسم ، جعلنا المقارنة بين نقاط أساسية لوحظت أثناء تتبع دراسة الشيخين للآيات ، هذه النقاط التي ستقوم عليها المقارنة هي :

- بيان الآية من جهة اللغة العربية
- العناية بالمسائل النحوية الصرفية.
- الاستشهاد بأقوال الصحابة و السلف .

المطلب الأول : دلالة القسم على التوحيد:

الفرع الأول : تفسير الإمام ابن القيّم الجوزية

ومن ذلك قوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥ ﴾ الصافات: ١ – ٥

أقسم سبحانه و تعالى بالملائكة الصافات للعبودية بين يديه ، كما قال النبي ﷺ" ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟ يتمّون الأول فالأول ، و يتراصون في الصف"[1] و كما قالو على أنفسهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ ﴾ الصافات: ٥٦١

و الملائكة "الصافات" التي تصفُّ أجنحتها في الهواء [2] و "الزاجرات "الملائكة التي تجزر السحاب و غيره بأمر الله ، ف " التاليات" التي تتلو كلام الله.

و قيل " الصافات" الطير كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءم بَصِيرٌ ۝١٩ ﴾ الملك: ٩١

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ ۝٤١ ﴾ النور:١٤

"الزاجرات" الآيات و الكلمات الزاجرات عن معاصي الله ، " التاليات " الجماعات التاليات .

و قيل "الصافات" للقتال في سبيل الله ف " الزاجرات" الخيل للحمل على اعدائه ف "التاليات" الذاكرين له عند ملاقاة عدوّهم.

---

[1] صحيح مسلم ، مسلم بن حجاج ، كتاب الصلاة ، باب الامر بالسكون في الصلاة ، رق 690 ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ص1190.

[2] تفسير البغوي ، الحسين بن مسعود البغوي أبو محمد ، ت محمد عبد الله نمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة ، مج 7،1989م ص 64

و اللفظ يحتمل ذلك كله ، و إن كان أحق من دخل فيه وأولى الملائكة ، فإن الإقسام كدليل على صحة ما أقسم عليه من توحيد ، و ما ذكر غير الملائكة فهو من آثار الملائكة و بواسطتها كان.[1]

و أقسم سبحانه بذلك على توحيد ربوبيته و ألوهيته ، و قرر توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية فقال قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥ ﴾ الصافات: ٤ - ٥

و من أعظم الأدلة على أنه إله واحد ن و لو كان معه إله آخر لكان الإله مشاركا في ربوبيته كما شاركه في ألوهية تعالى الله عن ذلك .

و هذه قاعدة القرآن ، يقرر توحيد الألوهية الربوبية ، فيقرر كونه معبودا وحده ، و بكونه خالقا وحده و رازقا وحده .

و خص المشارق ههنا بالذكر.

-لمّا دلالتها على " المغارب" إذ الأمران المتضايفان كل منهما يستلزم الآخر.

-وإمّا لكون " المشارق" مطالع الكواكب ، و مظاهر الأنوار.

-وإما توطئة لما ذكر بعدها من تزيين السماء بزينة الكواكب و جعلها حفظا من كل شيطان مارد، فذكر المشارق انسب لهذا المعنى و أليق.[2]

الفرع الثاني . تفسير الإمام الطاهر بن عاشور

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥ ﴾ الصافات: ١ – ٥

القسم لتوكيد الخبر مزيد تأكيد لأنه مقتضى إنكارهم الوحدانية ، و هو قسم واحد و المقسم به نوع واحد مختلف الأصناف ، و هو طوائف من الملائكة كما يقتضي قوله "

[1] المرجع السابق ، التبيان في ايمان القرآن ،ابن القيم الجوزية ، ص 647

[2] المرجع نفسه ، التبيان في أيمان القرآن ،ابن القيم الجوزية، ص 648.

فالتاليات ذكرا" و عطف الصافات بالفاء يقتضي أن تلك الصافات ثابتة لموصوف واحد باعتبار جهة ترجع وحده وحدته ، و هذا الموصوف هو هذه الطوائف من الملائكة .

و "الصافات" جمع صافة ، و هي طائفة المصطفّ بعضها مع بعض ، يقال صفّ الأمير الجيش ، متعديا إذا جعله صفا واحدا أو صفوفا ن فاصطفوا و يقال فصفّوا أي صاروا مصطفين.

ووصف الملائكة بهذا الوصف يجوز أن يكون على حقيقته ، فتكون الملائكة في العالم العلوي مصطفّة صفوفا ، و عي صفوف متقدم بعضها على بعض باعتبار مراتب الملائكة في الفضل و القرب . و "الجزر " الحثّ في النهي أو أمر ، بحيث لا يترك للمأمور تباطؤ في الإتيان بالمطلوب و المراد يه : تسخير الملائكة المخلوقات التي أمرهم الله بتسخيرها خلقاً أو فعلاً كتصريف الرياح.....إلخ[1] ، و "التاليات ذكرا" المترددون لكلام الله تعالى الذي يتلقونه من جانب القدس لتبيغ بعضهم بعضا أو لتبليغه إلى الرسل كما أشار إليه **قَالَ تَعَالَى:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ سبأ: ٣٢ و بيّنه قول النبي ﷺ" و إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضبانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الذي قال الحق"[2] ، و المراد ب " التاليات" ما يتلونه من تسبيح و تقديس الله تعالى لأن ذلك التسبيح لما كان ملقنا من لدن الله تعالى .

وجملة " إن إلهكم لواحد" جواب القسم ومناط التأكيد صفة "واحد" لأن المخاطبين كانوا قد علموا أن لهم إلهاً ، و لكنهم جعلوه عدّة آلهة فأبطل اعتقادهم بإثبات أنه واحد غير معدد ، و هذا إنما يقتضي نفي الألوهية عن المتعديين و أما اقتضاؤه تعيين الألوهية لله تعالى فذلك حاصل بأنهم لا ينكرون أن الله تعالى هو الرب العظيم ، و لكنهم جعلوا له شركاء

[1] التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ، دار التونسية لنشر ، تونس ،ج 23، 1984م، ص84

[2] صحيح البخاري من كتاب التوحيد ، عبد الله بن محمد الغنيمان ، باب قوله تعالى " ولا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له "رق7083 ، ص 300.

فحصل التعدد في مفهوم الإله فإذا بطل التعدد تعّين انحصار الألوهية في ربّ واحد هو الله تعالى [1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥﴾ الصافات: ٥

أتبع تأكيد الاخبار عن وحدانية الله تعالى بالاستدلال على تحقيق ذلك الإخبار ، لأن القسم لتأكيده لا يقنع المخاطبين ، لأنهم مكذّبون من بلّغ إليهم القسم ، فالجملة استئناف بياني لبيان الاله الواحد مع إدماج الاستدلال على تعيينه بذكر ما هو من خصائصه المقتضي بالألوهية فقوله تعالى " رب السماوات و الأرض" خبر مبتدأ محذوف ، جرى حذفه على طريقة الاستعمال في حذف المسند إليه من الكلام الوارد بعد تقدم حديث عنه ، و التقدير هو ربّ السماوات ، و أي إلهكم الواحد هو الذي تعرفونه بأنه ربّ السماوات و الارض .

و تخصيص " المشارق" بالذكر من بين السماوات و الأرض ، لأنها أحوال مشهودة كل يوم ، و جمع " المشارق" باعتبار اختلاف مطلع الشمس فإن المشرق اسم لمكان شروق الشمس ، فإذا رعوا الجهة بدون الفصل قالوا: المشرق بالإفراد ، و إذا روعي الفصلان الشتاء و الصيف قيل ربّ المشرقين على أنّ جمع المشارق قد يكون المراعاة باختلاف المطالع في مبادئ الفصول الأربعة و الآية صالحة بالاعتبارين ليعتبر كل فريق من الناس بها على حسب مبالغ عملهم[2]

المطلب الثاني : دلالة القسم على أن القرآن حق

الفرع الأول : تفسير الإمام ابن القيم الجوزية

إن القرآن الكريم لا ينفذ عطاؤه و لا يعدم الراجع إليه الهداية الراشدة و الحل الصحيح لمشاكل الانسان في الحياة ، و لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ ﴾ الواقعة: ٧٥ - ٧٧

[1] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ،ج 23، ص86

[2] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ،ج23، ص86-87

ذكر سبحانه هذا القسم عقب ذكر القيامة الكبرى و أقسام الخلق فيها ، و أقسم بمواقع النجوم على ثبوت القرآن و مواقعها و نزولها شيئا بعد شيء ، هذا قول ابن عباس و مقاتل رضي الله عنه[1]

و قيل النجوم هي الكواكب و مواقعها و مساقطها عند الغروب هذا قول أبي عبيدة وغيره[2]

ومن حجة من قال هي مساقطها عند الغروب أن الله تعالى يقسم بالنجوم و طلوعها و جريانها و غروبها .

و يرجّح هذا القول أيضا أن النجوم حيث وقعت في القرآن فالمراد منها : الكواكب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ الطور: ٩٤ و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ ﴿٥٤﴾﴾ الأعراف:٥٤ وعلى هذا فتكون المناسبة بين ذكر النجوم في القسم و بين المقسم عليه و هو القرآن من وجوه.

أحدهما : أنّ النجوم جعلها الله يهتدى بها في ظلمات البرّ و البحر ، و آيات القرآن يهتدي بها ظلمات الجهل و الغي ، فتلك هداية في الظلمات الحسية ، و آيات القرآن هداية في الظلمات المعنوية فجمع بين الهدايتين.

2/مع ما في النجوم من الزينة الظاهرة للعالم ، و في إنزال القرآن من الزينة الباطنة.

3/مع ما في النجوم من رجم الشياطين ، و في آيات النجوم من رجم شياطين الجن و الإنس.

4/مع ما في مواقعها عند الغروب من العبرة و الدلالة على آياته القرآنية و مواقعها عند النزول[3]

و المقسم عليه في قوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ الواقعة: ٧٧ وقع الاعراض بين المقسم و جوابه بقوله وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ الواقعة: 67 وقع الاعراض بين الصفة و الموصوف في جملة الاعتراض لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ فجاء هذا الاعتراض في ضمن هذا الاعتراض ألطف شيء و أحسنه موقعا .

[1] المرجع السابق ، التبيان في أيمان القرآن ،ابن القيم الجوزية، ص 321

[2] المرجع نفسه ، التبيان في أيمان القرآن ،ابن القيم الجوزية ،ص322

[3] المرجع السابق ، التبيان في أيمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ، ص 322.

ثم قال ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧﴾ فوصفه لما يقتضي حسنه و كثرة خيره و منافعه و جلالته فإن"كريم" هو البهي كثير الخير العظيم النفع ، و هو من كل شيء أحسنه و أفضله[1].

و كذلك فسر السلف "كثير" بالحسن ، قال الكلبي: أي حسن كريم على الله ، و قال مقاتل كرّمه الله و أعزّه لأنّه كلامه[2].

ثم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨﴾ الواقعة: ٨٧ اختلف المفسرون في هذا فقيل: هو لوح محفوظ [3] و الصحيح أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة و هو المذكور في قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥﴾ عبس: ٣١ – ٥١ هذا يدل على أنه بأيديهم ، و من المفسرين من قال : أنّ المراد به أنّ المصحف لا يمسه إلا طاهر [4]

و القول الأول هو الأرجح لأوجه :

1/أن الآية سيقت تنزيلا للقرآن أن تنزل به الشياطين ، وأنّ محلّه لا يصل إليه إلا المطهرون فيستحيل على أخابث خلق الله و أنجسهم أن يصلوا إليه أو يمسّوه.

2/في قوله " في كتاب مكنون" و المكنون المصون المستور [5] عن الأعين الذي لا تناله الأيدي.

3/أن هذا أبلغ في الردّ على المكذبين ، و أبلغ في تعظيم القرآن من كون المصحف لا يمسه محدث ، و دلت الآية بإشارتها و إيمائها على أنه لا يدرك معانيها و لا يفهمه إلا القلوب الطاهرة .

ثم أكّد ذلك و أطّده بقوله عز و جل " تنزيل من رب العالمين " ، و هذا كما أنّه لازم لكونه تنزيلا من ربّ العالمين مطلبين عظيمين هما أجّل مطالب الدين:

---

[1] تفسير الأسماء الحسنى ، أبو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج ، دار الثقافة العربية ، ص50

[2] الوسيط في تراجم ادباء شنقيط ، أحمد أمين الشنقيطي مطبعة المدني ، ج4، ص 239

[3] تفسير ابن عباس و مروياته من كتب السنة ، عبد العزيز بن عبد الله الحميدي ،جامعة أم القرى ، ج3، 2006م ، ص318

[4] تفسير الماوردي ، أبو الحسن الماوردي ، ت السد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ج5، 2010م ،ص 464

[5] المرجع نفسه ، تفسير الماوردي ، أبو حسن الماوردي ، ص 466

1/أنه المتكلم به , أنه منه نزل ، و منه بدأ ، و هو الذي تكلم به و من هنا قال السلف " و منه بدأ".

2/عُلوّ الله سبحانه و تعالى فوق خلقه فإن " النزول" و " التنزيل" الذي تعلقه العقول هو وصول الشيء من أعلى إلى الأسفل ، و الربّ تعالى إنّما يخاطب عباده بما تعرفه فطرتهم و تشهد به عقولهم و استدل بكونه ربّ العامين على ثبوت رسالة رسوله ﷺو صحّة ما جاء به و هذا الاستدلال أقوى و أشرف من الاستدلال بالمعجزات و الخوارق ، و إن كانت دلالتها أقرب إلى أذهان عموم النّاس ، و تلك إنّما تكون لخواص العقلاء[1].

الفرع الثاني . تفسير الإمام الطاهر بن عاشور

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ الواقعة: ٥٧ - ٩٧

أن الله نوّه بالقرآن لأنهم لما كذّبوا بالبعث وكان إثبات البعث من أهم ما جاء به القرآن و كان مما أغراهم بتكذيب القرآن اشتماله على البعث الذي عدّوه محالاً ، و الفاء لتفريغ القسم على ما سبق من أدلة وقوع البعث فإن قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ٤٩﴾ الواقعة: ٩٤

اخبارهم بيوم البعث و انذارهم به و هم قد أنكروه ، لأجل استحالته في نظرهم القاصر ، كذّبوا القرآن و كذّبوا من جاء به ، ففرغ على تحقيق وقوع البعث و الإنذار به تحقيق أن القرآن منزه عن النقائص وأنه تنزيل من الله و أن الذي جاء به مبلغ عن الله .

فتفريغ القسم تفريغ معنوي باعتبار المقسم عليه و هو أيضا تفريغ ذكري باعتبار إنشاء القسم إن قالوا لكم : أقسم بمواقع النجوم تفريغ القسم على ما قبله بالفاء و تفريغا مجرّد بالذكر.

و "فلا أقسم" بمعنى أقسم و(لا) مزيدة لتوكيد ، و أصلها نافية تدل على أن القائل لا يقدم على القسم بما أقسم له خشية لسوء عاقبة الكذب في القسم .

[1] المرجع السابق ، التبيان في أيمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ، ص 343

و بمعنى أنه غير متاح إلى القسم لأن الأمر ثابت الوجود و الثبوت ، ثم كثر الاستعمال فصار مراد تأكيد الخبر فساوى القسم بدليل قوله " إنه لقسم لو تعلمون عظيم" وهذا الوجه الثاني هو الأنسب بما وقع من مثله في القرآن.

و بمواقع النجوم : جمع موقع يجوز أن يكون مكان الوقوع ، أي محل وقوعها من ثوابت، و الوقوع يطلق على السقوط أي الهوى ، فمواقع النجوم مواضع غروبها فيكون في معنى قوله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ ال نجم: ١ و القسم بذلك مما شمله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ ۝٤٠﴾ المعارج: ٤٠ وجعل بمواقع النجوم بهذا المعنى مقسما به لأن تلك المساقط في حال سقوط النجم عندها تذكر النظام البديع المجعول لسير الكواكب كل ليلة لا يختل ولا يختلف ، و تذكّر بعظمة الكواكب و تداولها ، وذلك أمر عظيم يحقّ القسم به الرّاجع إلى القسم بمبدعه.

و المواقع هي : أفلاك النجوم مضبوطة السير في أفق السماء و كذلك بروجها و منازلها، و جملة " إنه لقسم لو تعلمون عظيم " معترضة بين القسم و جوابه و الضمير "إنه" عائد إلى القسم المذكور في " فلا أقسم بمواقع النجوم" أو عائد إلى مواقع النجوم بتأويله بالمذكور فيكون قسم بمعنى مقسم به كما علمت آنفا[1]

و القرآن : الكلام المقروء أي المتلو المكرر أي هو كلام متعظ به محلّ تدبر و تلاوة وقد تقدم ذلك عند قوله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ ۝٦١﴾ يونس: ١٦

و الكريم : النفيس الرفيع من نوعه كما تقدم عند قوله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ۝٢٩﴾ ال نمل: ٩٢

و هذا تفضيل للقرآن على افراد نوعه من الكتب الإلهية مثل التوراة و الإنجيل و الزبور و مجلة لقمان و فضله عليها بأنه فاقها في استفاء أغراض الدين و أحوال المعاش و المعاد و إثبات المعتقدات بدلائل الكون .

[1] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ، ج27، ص329-331.

وبعد وصف القرآن بكريم وصف وصفاً ثانيا بأنه في كتاب مكنون و ذلك وصف كرامة لامحالة و الكتاب المكنون: مستعار لموافقة ألفاظ القرآن و معانيه و ما في علم الله تعالى و إرادته و أمره الملك بتبليغه إلى الرسول ﷺ، و تلك شؤون محجوبة عنا فلذلك وصف الكتاب بالمكنون اشتقاقا من الاكتنان و هو الاستتار : أي المحجوب عن أنظار الناس .

و حاصل ما يفيده معنى هذه الآية : أن القرآن الذي بلغهم و سمعوه من النبي ﷺهو موافق لما أراد الله إعلام النّاس به و ما تعلقت قدرته بإيجاد نظمه المعجز ، ليكمل له وصف أنّه كلام الله تعالى وأنه لم يصنعه البشر.

و جملة " لا يمسه المطهرون" صفة ثانية (لكتاب)، و المطهرون: الملائكة الكرام البررة و ليسوا الناس الذين يتطهرون.

وجملة "تنزيل من ربّ العالمين" مبنية لجملة من كتاب مكنون لا يمسه إلاّ المطهرون فهي تابعة لصفة القرآن ، أي فبلوغه إليكم كان بتنزيل من الله أي نزل به الملائكة[1].

المطلب الثالث : دلالة القسم على أن الرسول حق

الفرع الأول : تفسير الإمام ابن القيّم الجوزية

1/ و من ذلك قوله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢﴾

القلم: ١ - ٢

الصحيح أن "ن" "ق" "ص" من حروف الهجاء التي يفتتح بها الربُّ سبحانه بها بعض السور و هي : أحادية و ثنائية و ثلاثية و رباعية و خماسية ، و لم تذكر قط في أوّل سورة إلاّ وعقبها يذكر القرآن إمّا مقسما به و إمّا مخبرا عنه ، ففي هذا تنبيه على شرف هذه الحروف و عظم قدرتها و جلالتها ، إذ هي مباني كلامه و كتبه التي تكلم سبحانه بها وأنزلها على رسله فكان في ذكر هذه الحروف التنبيه على كمال ربوبيته و كمال احسانه ، فهي أولى أن يقسم بها من الليل و النهار و الشمس و القمر و السماء و النجوم وغيرها من المخلوقات ، فهي دالة أظهر دلالة على وحدانيته و قدرته و حكمته و كلامه و صدق رسله.

[1] المرجع نفسه ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ،ج27، ص333-335

و قد جمع سبحانه بين أمرين ، القرآن و نطق الإنسان ، و جعل تعليمهما من تمام نعمته كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ الرحمن: ١ - ٤

فبهذه الحروف علّم القرآن و بها علّم البيان و بها فضل الإنسان على سائر أنواع الحيوان ، و بها نزل كتابه و بها ارسل رسله ، و بها جمعت العلوم و حفظت ، ثم أقسم سبحانه ب "القلم و ما يسطرون" فأقسم بالكتاب و آلته و هو القلم و هو أول مخلوقاته الذي جرى له قدره و شرعه ، و كتب به الوحي وقيّد به الدين و أثبت به الشريعة و حفظت به العلوم ، و أقام في الناس أبلغ خطيب و أفصحه و أنفعه لهم و أنصحه .[1]

و المقسم عليه بالقلم و الكتابة في هذه السورة تنزيله نبيه و رسوله محمد ﷺ عماّ يقول فيه أعدائه و هو قوله تعالى مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ، و إذا طابقت بين القسم و المقسم عليه و جدته دالاً عليه أظهر دلالة و أبينها ، فإن ما سطّر الكاتب بالقلم من أنواع العلوم التي يتلقاها لا تصدر من الجنون ، ولا تصدر إلا ممّن له عقل وافر ، فكيف يصدر بها ما جاء به الرسول من هذا الكتاب الذي هو في أعلى درجات العلوم ، بل العلوم التي تضمنها ليس في قوى البشر الاتيان بها و لا سيما من أميّ لا يقرأ كتابا و لا يخطه بيمينه ، مع كونه في أعلى مراتب الفصاحة ، سليما من الاختلاف برياً من التناقض يستحيل من العقلاء كلهم لو اجتمعوا في صعيد واحد أن يأتوا بمثله ، فكيف يُرمى بالجنون من أتى بما عجزت العقلاء كلّهم عن معارضته و مماثلته ، و عرّفهم من الحق مالا تهتدي إليه عقولهم ، بحيث أذغنت له عقول العقلاء و خضعت له ألباب الألباب ، بحيث لم يسعها إلا التسليم و الانقياد و الطاعة[2].

و قد أختلف في تقدير الآية :

فقالت فرقة " الباء" في " بنعمة" باء القسم ،فهو قسم آخر اعترض بين المحكوم به و المحكوم عليه ، كما تقول ما أنت بالله بكاتب ، و هذا التقدير ضعيف جداً لأنّه قد تقدم

[1] المرجع السابق ، التبيان في أيمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ، ص 299-303

[2] المرجع السابق ، التبيان في ايمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ،ص 155

القسم الأول ، فكيف يقع القسم الثاني في جوابه ؟ ولا يحسن أن تقول : و الله ما أنت بالله قائم وليس هذا من فصيح الكلام.

وقالت فرقة : العامل في "بنعمة ربك" أدت معنى النفي أو انتفى عنك الجنون بنعمة ربّك .

و قال الزمخشري(ت538هـ)* يتعلق ب " مجنون منفيا كما يتعلق بعاقل مثبتا في قولك: أنت بنعمة الله عاقل ، مستويا في ذلك الاثبات و النفي استواءهما في قولك : ضرب زيدٌ عمراً ، و ما ضرب زيدٌ عمراً ، تعمل الفعل مثبتا و منفيا اعمالا واحدا و محله النصب على الحال ، أي ما أنت بمجنون منعما عليك بذلك ، و لم تمنع (الباء) أن تعمل (مجنون) فيما قبله ، لأنها زائدة لتأكيد النفي[1]

2/ و ذلك في قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣﴾ الـ نجم: ١ – ٣

أقسم سبحانه بالنجم عن هويه على تنزيله رسوله و براءته مما نسبه إليه أعدائه من الضلال و الغي و قد أختلف في المراد ب "النجم"

فقال الكلبيّ(ت 204هـ) *عن ابن عباس أقسم بالقرآن إذا نزل منجما على رسوله [2]، و على هذا سمّي القرآن نجما ، لتفرقه في النزول و العرب تسمي التفرّق : تنجيما ، و الفرق منجّماً

[1] المرجع السابق ، الكشاف ، لزمخشري مج4، ص590

*الزمخشري : محمود بن عمر بن أحمد أبو القاسم الزمخشري ،كان إماما في التفسير و النحو و اللغة و الأدب ن من تصانيفه الكشاف في تفسير القرآن ، توفي (538هـ) / ينظر: معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، ج6،ص2689.

* الكلبيّ : ابن المنذر هشام محمد بن السائب بن بشير بن الحارث الكلبي (110هـ-204هـ) مؤرخ و عالم الأنساب و أخبار العرب ، من أعماله جمهرة الأنساب ،كتاب الأصنام ، أنساب الخيل/ ينظر : نزهة الألباب في طبقة الأدباء ، ابن الأنباري ،ص76

[2] المرجع السابق التبيان في ايمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ، ص 375.

و الأصل أنّ العرب كانت تجعل مطالع منازل النجم و مساقطها مواقيت حلول ديونها و آجالها فيقولون : إذا طلع النّجم يريدون الثُّريّاَ حل عليه الدين.

و قوله تعالى " هوى" على هذا القول –أي نزل من علوّ إلى أسفل – و قال كذلك ابن الأعرابي(ت231هـ)* و فرّق بين (الهَوِيّ) و (الهُوِيّ) بفتح الهاء و ضمّها ، و قال الفتح في السريع إلى الأسفل و الضمّ في السريع إلى فوق [1]

و العرب إذا أطلقت "النجم" تعني به "الثُّريّا" [2] و قال ابن عباس" يعني النجوم التي ترمى بها الشياطين ، إذا سقطت في آثارها عند استراق السمع " ، و قال الحسن " يكون سبحانه قد أقسم بهذه الآية الظاهرة المشاهدة التي نصبها الله سبحانه و حفظا للوحي من استراق الشياطين له ، على أن ما أتى به رسوله حق وصدق لا سبيل للشيطان ولا طريق له إليه ، بل حُرسَ ب " النجم" إذا هوى رصداً بين يدي الوحي و حرسا له ".

و على هذا فالارتباط بين المقسم به و المقسم عليه في غاية الظهور ، و في المقسم به دليل على المقسم عليه.

و ليس بالبيّن تسمية القرآن عند نزوله ب " النجم إذا هوى" و ليس بالبيّن أيضا تخصيص هذا القسم بالثُّريّا وحدها إذا غابت ، و أظهر الأقوال قول الحسن و الله أعلم[3]

3/و في ذلك قَالَ تَعَالَى:﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠﴾

الحاقة: ٨٣ - ٤٠

قال مقاتل " بما تبصرون من الخلق ومالا تبصرون منه"

قال قتادة " أقسم بالأشياء كلّها ، و ما يبصر منها ومالا يبصر"

*ابن الأعرابي : هو أبو عبد الله محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي ، و هو إمام اللغة ورواية (150هـ-231هـ) من أهل الكوفة ، من اهم مصنفاته :النوادر ، تاريخ القبائل ، أسماء الخيل و فرسها ، الفاضل ، ابيات المعاني/ ينظر تاريخ الأدب الجاهلي ، علي الجندي ، ص129.

[1] تهذيب اللغة ، محمد الازهري ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، 2001م ، ص478.

[2] الأنباء في مواسم العرب ، ابن قتيبة ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، 1956م ، ص24

[3] المرجع السابق ، التبيان في أيمان القرآن ،ابن القيم الجوزية ، ص363

قال الكلبي" ما تبصرون من شيء، و مالا تبصرون من شيء"[1]

و هذا أعم قسم وقع في القرآن ، فإنه يعّمُ العلويات و السفليات و الدنيا و الآخرة و ما يُرى و ما لا يُرى ، و يدخل في ذلك الملائكة كلهم من آيات قدرته و ربوبيته و هو سبحانه يصرف الأقسام كما يصرف الآيات ، ففي ضمن هذا القسم أنّ كل ما يُرى و ما لا يُرى آية و دليل على صدق رسوله ، وأنّ ما جاء به هو من عند الله و هو كلامه لا كلام شاعر و لا مجنون و لا كاهن .

و من تأمّل المخلوقات و ما يراه منها و ما لا يراه ، واعتبر ما جاء به الرسولﷺ و نقل فكره في مجاري الخلق و الأمر ظهر له أنّ هذا القرآن من عند الله وأنّه كلامه و هو أصدق الكلام و أنّه الحق الثابت كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الذاريات:٢٣

أي إن كان نطقكم حقيقة و هو أمر موجود لا تمارون فيه و لا تشكّون فهكذا ما أخبرتكم به من التوحيد و المعاد و النبوة ، فكأنه سبحانه يقول إن القرآن حق بل لو فكرتهم فيما تبصرون و ما لا تبصرون لدلّكم ذلك على أن القرآن حق .

ثم ذكر سبحانه المقسم عليه فقال " أنه لقول رسول كريم" و هذا رسوله البشريُّ محمد ﷺ، و في إضافته إليه باسم الرسالة أبين دلالة ، و أنّه كلام المرسل له حقيقة و كلام رسوله تبليغا ، إن حقيقة الرسول من يبلّغ كلام المرسل ، فمن أنكر أن يكون الله قد تكلّم بالقرآن فقد أنكر حقيقة الرسالة ، و لو كانت إضافته إلى إضافة إنشاء و ابتداء لم يكن رسولاً، و لناقض ذلك إضافته إلى رسوله المكي .[2]

ثم بيّن سبحانه كذب أعدائه و بهتهم في نسبة كلامه تعالى إلى غيره ، و أنه لم يتكلّم به بل قاله من تلقاء نفسه ، كما بيّن كذب من قال قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾

[1] معالم التنزيل ، أبو محمد حسين بن مسعود البغوي ، ت محمد عبد الله نمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة لنشر ، مج7، 1989م، ص214.

[2] المرجع السابق ، التبيان في أيمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ، ص 265

المدثر: ٥٢ فمن زعم أنه قول البشر فقد كفر و سيصليه الله سقر[1]، ثم أخبر سبحانه أنه تنزيل من ربّ العالمين و ذلك يتضمن أموراً :

1/ أنه تعالى فوق خلقه كلّهم ، و أن القرآن نزل من عنده.

2/أنه كلامه تكلّم به حقيقة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ الواقعة: ٨٠

و لو كان غيره هو المتكلم من ذلك الغير و نظير هذا قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴿١٣﴾﴾ السجدة: ٣١ و نظيره قَالَ تَعَالَىٰ:﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ فصلت: ٢٤

وتأمل كيف أضافه إلى الرسول ﷺ بلفظ " القول" و أضافه إلى نفسه بلفظ "الكلام" في قَالَ تَعَالَىٰ:﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴿٦﴾﴾ التوبة: ٦ فإن الرسول يقول للمرسل إليه ما أمر بقوله فيقول : قلت له كذا و كذا ، و قلت له ما أمرتني أن أقول كما قال المسيح قَالَ تَعَالَىٰ:﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ ﴿١١٧﴾﴾ المائدة: ١١٧ و المرسل يقول لرسول قل لهم كذا وكذا ، كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴿٣١﴾﴾ إبراهيم: ١٣

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴿٥٣﴾﴾ الإسراء: ٣٥

و نظائره ، فإذا بلغ الرسول ذلك صح أن يقال قال الرسول كذا و كذا و هذا قول الرسول ، أي قاله مبلغاً ، و هذا قوله مبلغًا عن مرسله ، و لم يجيء في شيء من ذلك " تكلم الرسول بكذا و كذا ، و لا (إنّه لكلام الرسول) –بل قيل للصديق– و قد تلا آية –هذا كلامك و كلام صاحبك قال ليس بكلامي و لا كلام صاحبي هذا كلام الله "[2]

الفرع الثاني : تفسير الإمام الطاهر بن عاشور

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ القلم: ١ - ٤

[1] المرجع السابق ، التبيان في أيمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ، ص 266

[2] أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ، رقم116

يجري القسم هنا على سنن الأقسام الصادرة في كلام الله تعالى ، أن تكون بأشياء معظّمة دالة على آثار صفات الله تعالى .

و القلم المقسم به قيل هو ما يكتّى عنه بالقلم من تعلق علم الله بالموجودات الكائنة ، و التي ستكون ، أو هو كائن غيبي لا يعلمه إلا الله ، و عن مجاهد و قتادة أنه القلم الذي في قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ ال علق: ٤ – ٥ و هذا هو المناسب لقوله " و ما يسطرون" و هو الذي يقتضيه حال المشركين المقصودين بالخطاب الذي لا يعرفون إلا القلم الذي هو آلة الكتابة عند أهل الكتاب و عند الذين يعرفون الكتابة من العرب ، و من فوائد هذا القسم أن هذا القرآن كتاب الإسلام ، و أنه سيكون مكتوبا مقروءا بين المسلمين ، و لهذا كان الرسول ﷺ بأمر أصحابه بكتابة ما يوحى إليه ، فالقسم بالقلم لشرفه بأنه يكتب به القرآن و كتبت به الكتب المقدسة و كتب به كتب التربية و مكارم الأخلاق و كل ذلك مما له حظ شرف عند الله تعالى .[1]

"و ما يسطرون" هي السطور المكتوبة بالقلم ، و يجوز أن يكون قسما بالأقلام التي يكتب بها كتاب وحي القرآن ، و ما يسطرون قسم بكتابتها فيكون قسما بالقرآن على أن القرآن ما هو بكلام مجنون ، و أوثر القسم بالقلم و الكتابة للإيماء على أن باعث الطاعنين على الرسول ﷺ، و المقسم عليه نُفي أن يكون النبي ﷺ مجنونا ، و الخطاب له بهذا تسلية له لئلا يحزنه قول المشركين لمّا دعاهم إلى الإسلام ، لأنهم لمّا نفو عنه صفة الرسالة وضعوا موضعها صفة الجنون فإذا نُفي ما زعموه ، فقد ثبت ما ادعاه و قد أجيب قواهم و تأكيدهم ذلك بحرف (إنّ) و (لام الابتداء) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١ ﴾ ال قلم: ١٥ بمؤكدات أقوى مما في كلامهم أن أقسم عليه وجيء بعد النفي بالياء التي تزاد بعد النفي لتأكيده ، بالجملة الاسمية المنفية لدلالة الجملة الاسمية على ثبات الخبر[2]

[1] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ،الطاهر بن عاشور ، ج29، ص60

[2] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ،ج29، ص62

و قوله " بنعمة ربك" ذهب ابن حاجب (ت646هـ) *في "أماليه " أن بنعمة ربك متعلق بما يتضمنه ما النافية من معنى الفعل ، و قدّره : انتفى أن يكون مجنونا بنعمة ربك ، و لا يصحّ تعلقه بقوله (مجنون) إذ لو علق بها لأوهن نفي جنون خاص و هو المجنون الذي يكون من نعمة الله و ليس ذلك بمستقيم.

و لما ثبت الله رسوله ﷺ فدفع بهتان أعدائه ، أعقبه بإكرامه بأجرٍ عظيم على ما لقيه من المشركين من الأذى بقوله " و إن لك لأجراً غير ممنون " بقرينة وقوعه عقب قوله " ما أنت بنعمة ربّك بمجنون" مأكدًا ذلك بحرف إنّ و لام الابتداء و بتقديم المجرور و هو في قوله (ذلك) و هذا الأجر هو ثواب الله في الآخرة و عناية الله به و نصره في الدنيا .

و "ممنون": يجوز أن يكون مشتقا من الحبل إذا قطعته أي أجرا غير مقطوع عنك ، و هو الثواب المتزايد كل يوم أو أجرا أبدياً في الآخرة .

و بعد أن آنس رسوله ﷺ بالوعد عاد إلى تسفيه قول الأعداء فحقق أنه متلبس بخلق عظيم ، و ذلك ضد الجنون[1].

"الخلق" : طباع النفس ، و أكثر إطلاقه على طباع الخير إذا لم يتبع بنعمة ، و قد تقدم قوله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧﴾ الشعراء: ٧٣١

"العظيم": الرفيع القدر و هو مستعار من ضخامة الجسم ، و شاعت هذه الاستعارة حتى ساوت الحقيقة ، و (على) الاستعلاء المجازي و المراد به التمكن قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٣﴾ ال زخرف٤٣

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾ ال بقرة:٥

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ٧٩﴾ ال نمل: ٩٧

[1] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ، ج29، ص63

*ابن الحاجب: أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي الدويني المقرئ النحوي الأصولي ، من مؤلفاته جامع الأمهات ، الكافية في علم النحو ، أمالي ، توفي (646هـ) / ينظر ، سير أعلام النبلاء، الذهبي ، ج23، ص264

و كما جعل رسوله ﷺعلى خلق عظيم ، جعل شريعته لحمل الناس على التخلق بالخلق العظيم بمنتهى الاستطاعة ، و لهذا يزداد وضوحا معنى التمكن الذي أفاده حرف الاستعلاء في قوله " إنك لعلى خلق عظيم" فهو متمكن من الخلق العظيم في نفسه و متمكن منه في دعوته الدينية [1]

2/قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣﴾ الـ نجم: ١ - ٣

كلام موجه من الله تعالى إلى المشركين الطاعنين في رسالة محمد ﷺ، أقسم الله تعالى بعظيم من مخلوقاته دال على صفات الله تعالى ، و تعريف النجم باللام يجوز أن يكون الجنس

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝١٦﴾ الـ نحل: ٦١

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦﴾ الـ رحمن: ٦

و يحتمل تعريف العهد و أشهر النجوم بإطلاق اسم النجم عليه "الثُّريّا" لأنهم كانوا يوقنون بأزمان طلوعها مواقيت الفصول و نضوج الثمار .

و قال الراغب (ت502هـ)*قيل أراد بذلك أي النجم القرآن المنزّل المنجّم قدرا فقدراً ، و يعني بقوله هوى نزوله ، و مناسبة القسم ب (النجم إذا هوى) أن الكلام مسوُق لإثبات أن القرآن وحيٌ من الله منزل من السماء ، فشابه حال نزوله الاعتباري حال النجم في حالة هوية متشابهة تمثيلية حاصلة من نزول شيء منير إنارةٍ معنوية من محل رفعة معنوية.

و الظلال : عدم الاهتداء إلى الطريق الموصل إلى المقصود ، و هو مجاز في سلوك ما ينافي الحق و الغواية :فساد الرأي و تعلقه بالباطل.

و الصاحب الملازم الذي يضاف إليه وصف صاحب و المراد بالصاحب هنا الذي له ملابسات و أحوال مع المضاف إليه و المراد به محمدﷺ

[1] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ، ج29، ص64

*الراغب الاصفهاني :أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني صاحب التصانيف ، ، من مصنفاته محاضرات الأدباء ، جامع التفسير ، توفي(502هـ) / ينظر : سير أعلام النبلاء ، ج18،ص120

و إثار التعبير عنه بوصف صاحبكم تعريض بأنه اهل بهتان إذا نسبوا إليه ما ليس منه في شيء مع شدة اطلاعهم على أحواله و شؤونه إن هو بينهم في بلد لا تتذر فيه إحاطة علم أهله بحال واحد معيّن مقصود من بينهم .[1]

و عطف على جواب القسم ما ينطق عن الهوى و هذا وصف كمالٌ لذاته ، و الكلام الذي ينطق به هو القرآن لأنهم قالوا فيه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ ۞﴾ الفرقان: ٤

ثم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا ۞﴾ الفرقان:٥

و ذلك نحوه لا يعدو أن يكون اختراعه أو اختياره ، و(ما) النافية نفت أن ينطق عن الهوى.

"والهوى": ميل النفس إلى ما تحبه أن تحب أن تفعله دون أن يقتضيه العقل السليم الحكيم ، و نفي النطق عن الهوى يقتضي نفي جنس ما ينطق به عن الاتصاف بالصدور عن هوى سواء كان القرآن أو غيره ، و اعلم أن تنويهه ﷺالنطق عن الهوى ، هو يقتضي التنزيه عن أن يفعل أو يحكم عن هوى لأن التنزه عن النطق عن الهوى أعظم مراتب الحكمة [2]، و هنا تم إبطال قولهم فحسن الوقف على قوله" و ما ينطق عن الهوى".

3/قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۞ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۞ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۞﴾ الحاقة: ٨٣ - ٤٠

الفاء هنا لتفريغ اثبات أن القرآن منزل من عند الله و نفي ما نسبه المشركون إليه ، تفريغا على ما إقتضاه تكفي تكذيبهم بالبعث من التعريض بتكذيب القرآن الذي أخبر بوقوعه، و تكذيبهم الرسول ﷺ القائل أنه موحي به إليه من الله تعالى .

و ابتدئ الكلام بالقسم تحقيقا لمضمونه على طريقة الاقسام الواردة في القرآن ، و الضمير أقسم عائد إلى الله تعالى.

جمع الله في هذا القسم كل ما له شأن أن يقسم به من الأمور العظيمة من صفات الله تعالى و من مخلوقاته الدالة على عظيم قدرته ، إذ يجمع ذلك كله الصلتان بما تبصرون و مالا

[1] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ، ج27،ص92

[2] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور، ج27، ص93

تبصرون ، فمما تبصرون الأرض و الجبال و البحار و النفوس البشرية ، و مما لا تبصرون الأرواح و الملائكة و أمور الآخرة .

و لا أقسم صيغة تحقيق قسم و اصلها أنها امتناع تحرج من يحلف بالمقسم به خشية الحنث ، فشاع استعمال ذلك من كل قسم يراد تحقيقه ، و اعتبر حرف (لا) كالمزيد كما تقدم عند قوله " فلا أقسم بمواقع النجوم " في سورة الواقعة ، و ضمير أنّه عائد إلى القرآن المفهوم من ذكر الحشر و البعث، فإن ذلك مما جاء به القرآن و مجيئه بذلك من أكبر أسباب تكذيبهم به على أنّ إرادة القرآن من الضمائر الغيبية التي معادلها قد تكرر غير مرة فيه.

و تأكيد الخبر بحرف(إنّ) و (اللام) للردّ على الذين كذبوا أن يكون القرآن من كلام الله و نسبوه إلى غير ذلك ، و المراد بالرسول الكريم محمد ﷺ كما يقتضيه عطف قوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ الحاقة: ٤٤ و إضافة القول إلى الرسول الكريم لأنه الذي بلّغه فهو قائله ، و إلا فالقرآن جعله الله تعالى و أجراه على لسان النبي ﷺ كما صدر من جبريل بإيحائه بواسطته قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴿٩٧﴾﴾ مريم: ٧٩

و قد أثبت للرسول ﷺ الفضل على غيره من الرسل بوصف كريم ، و نفي أن يكون شاعرا أو كاهنا هنا بطريق الكناية عند قصد غيرهم.[1]

المطلب الرابع : دلالة القسم على الجزاء و الوعد و الوعيد

الفرع الأول . تفسير الإمام ابن القيّم الجوزية

1/ ففي مثل قوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾﴾ الذاريات:١ إلى آخر القسم ثم ذكر تفصيل الجزاء و الجنة و النار ، و ذكر أن في السماء رزقكم و ما توعدون ، ثم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الذاريات:٢٣

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾﴾ الذاريات:١ - ٤

[1] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ،الطاهر بن عاشور ، ج29،ص140-142

أقسم ب "الذاريات" و هي الرياح تذروا المطر ، و تذروا التراب إذا تهشّم ، كما قال تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ ﴿٤٥﴾﴾ الكهف: ٥٤

ثم أقسم بمواقعها و هي السحاب الحاملات وقرا ، أي ثقلا من الماء و هي روايا الأرض يسوقها الله على متون الرياح.

ثم أقسم سبحانه بما فوق ذلك و هي الجاريات يسرا ، و هي النجوم التي من فوق الغمام ، يسرا هي مسخرة من الله منقادة.

و ذهب الامام ابن تيمية (ت728هـ) إلى القول أن الله عزّ و جل أحسن الترتيب و الانتقال من السافل إلى العالي ، فإنه بدأ بالرّياح و فوقها السحاب و فوقه النجوم و فوقها الملائكة المقسمات أمر الله الذي أمرت به بين خلقه.

و الصحيح أن (المقسمات أمرًا) تختص بأربعة و قيل هم :

- جبريل : يقسم الوحي ، العذاب ، و أنواع العقوبة على من خالف الرسل
- ميكائيل : على القطر ، و البرد و الثلج و النبات يسقمها بأمر الله.
- ملك الموت : يقسم المنايا بين الخلق بأمر الله تعالى
- إسرافيل: يقسم الأرواح على أبدانها عند النفخ في الصور .[1]

و أقسم سبحانه بهذه الأمور الأربعة لمكان العبرة و الآية و الدلالة الباهرة على ربوبيته و وحدانيته و عظم قدرته.

ثم أقسم سبحانه بهذه الأمور على صدق وعده ، وقوع جزائه بالثواب و العقاب فقال " أنما توعدون لصادق " أي ما توعدون من أمر الساعة و الثواب و العقاب الحقٌ كائن ، و هو وعد صدق لا كذب " و إن الدين لواقع " أي أن الجزاء كائن لا محالة [2]

[1] المرجع السابق ، التبيان في ايمان القرآن ، ابن القيم ، ص 426

[2] المرجع السابق ، التبيان في أيمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ،ص424-437

ثم أقسم ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ۝٧ ﴾ الذاريات:٧ ثم ذكر المقسم عليه فقال قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ۝٨ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ۝٩ ﴾ الذاريات:٨ – ٩فالقول المختلف أقوالهم في القرآن و في النبي ﷺ، فإنهم لما كذبوا بالحق اختلفت مذاهبهم و آرائهم و طوائفهم و أقوالهم فإن الحق شيء واحد و طريق مستقيم ، و في ضمن هذا الجواب : أنكم في أقوال باطلة متناقضة يكذب بعضها بعضا سبب تكذيبهم بالحق ، ثم أخبر سبحانه أنه يصرف سبب ذلك "القول المختلف" من صَرف ، ف(عن) ههنا فيها طرف من معنى : التسبيب كقوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا ۝٥٣ ﴾ هود: ٥٣أي سبب قولك و قوله " ومن إفك" أي : من سبق في علم الله أنّه يضّل و يؤفك.

و لما كان هذا "قول مختلف" خرصا و باطلا قال " قتل الخراصون" أي الكذابون " الذين هم في غمرة " و جهالة قد غمر قلوبهم أي غطاها و غشاها كغمرة الموت فغمرات ما غطاها من جهل أو هوى أو سكر أو غفلة ....، ثم وصف أنه ساهون في غمرتهم و "السهو" الغفلة عن الشيء و ذهاب القلب عنه ، ثم قال "يسئلون أيام يوم الدين " استبعاداً لوقوعه و جحدا فاخبر تعالى عن ذلك " يوم هم عن النار يفتنون" و حقيقة أن الأمر "الفتنة" تطلق على العذاب و سببه لهذا سمى الله الكفر بالفتنة ، فهم لما أتوا بالفتنة التي هي أسباب العذاب، في الدنيا سمّى جزائهم فتنة ، و لهذا قال " ذوقوا فتنتكم" و كان وقوفهم على النار و عرضهم عليها من أعظم فتنتهم و آخر هذه الفتنة دخول النار و التعذيب فيها.

ثم ذكر سبحانه جزاء من خلص من هذه الفتن بالتقوى و هو: الجنات و العيون و أنهم آخذون ما آثرهم ربهم من الخير و البركة و الكرامة ، ثم ذكر السبب الذي أوصلهم إلى ذلك و هو إحسانهم المتضمن لعبادته وحده لا شريك له و القيام بحقوقه و حقوق عباده ، ثم أخبر عنهم أنهم بأنهم مع صلاتهم بالليل كانوا يستغفرون الله عند السحر ، فختموا صلاتهم بالاستغفار و التوبة لربهم سجداً و قياماً ، ثم تابوا إليه و استغفروه عقب ذلك.[1]

ثم أخبر سبحانه عن احسانهم إلى الخلق مع اخلاصهم لربهم فجمع لهم بين الاخلاص و الاحسان ، و أكّد إخلاصهم في هذا الاحسان بأن مصرفه " السائل و المحروم " الذي لا

[1] المرجع السابق ، التبيان في أيمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ، ص636

يقصد بعطائه الجزاء منه و لا الشكور و (المحروم) المتعفف الذي لا يسأل ، ثم قال " و في السماء رزقكم و ما توعدون" ، و أما الرزق فقد فسر بالمطر و فسر بالجنة

ففسر رزق الدنيا و الآخرة ، و لا ريب أن المطر من الرحمة ، و أن الجنة مستقر الرحمة، فرزق الدارين في السماء التي هو العلو [1]

و قوله تعالى " و ما توعدون" قال مجاهد : الجنة و النار" و قال ابن سيرين " من أمر الساعة " و قال الكلبي " الخير و الشر "

فإذا نظرت إلى أسباب الخير و الشر و أسباب دخول الجنة و النار و افتراق الناس و انقسامهم إلى شقيّ و سعيد ، وجد ذلك كلّه بقضاء الله و قدره النازل من السماء ، و قول من قال (من أمر الساعة) يكشف عن هذا المعنى ، فإن أمر الساعة يأتي من السماء وهو الموعود بها ، و الجنّة و النار الغاية التي لأجلها قامت الساعة[2]

ثم أقسم سبحانه أعظم قسم بأعظم مقسم به على أجلّ مقسم عليه ، و أكّد الاخبار بهذا القسم ، ثم أكده سبحانه بشبهه بأمر محقق الذي لا شك فيه ذو حاسة سليمة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣﴾ الذاريات:٢٣

فشبه سبحانه تحقيق ما أخبر به بتحقيق نطق الآدمي ووجوده ، و الواحد منا يعرف أنه ناطق ضرورة و لا يحتاج نطقه إلى استدلال على وجوده ولا يخالجه شك في أنه ناطق ، فذلك ما أخبر الله سبحانه عنه من أمر التوحيد و النبوة و المعاد و أسماؤه و صفاته حق ثابت في نفس الأمر ، يشبه ثبوت نطقهم ووجوده.

2/ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ٧﴾ ١ - ٧

فسرت المرسلات بالملائكة و هو قول أبي هريرة و ابن عباس ، و فسرت بالرياح و هو قول ابن مسعود ، وفسرت بالسحاب وهو قول الحسن و فسرت بالأنبياء و هو قول عطاء ابن عباس .

[1] المرجع السابق ، التبيان في أيمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ،ص 637

[2] المرجع السابق ، التبيان في أيمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ، ص 638

و أن الله سبحانه و تعالى يرسل الملائكة و يرسل الأنبياء و يرسل الرياح و يرسل السحاب فيسوقه حيث يشاء و يرسل الصواعق فيها من يشاء فإرساله واقع على ذلك كله و الإرسال المقسم به هنا مقيّد ب (العُرف).

1/فإما أن يكون ضد المنكر ، فهو إرسال رسله من الملائكة و لا يدخل في ذلك إرسال الرياح و لا الصواعق و لا الشياطين.

2/وإن كان (العُرف) من التتابع كعرف الفرس ، و الناس إلى فلان عرف واحد ، أي سابقون في قصده و التوجه إليه ، جاز أن يكون المرسلات : الرياح و يؤيده عطف (العاصفات) عليه و (الناشرات)

و جاز أن يكون "الملائكة" و جاز أن يعمّ النوعين لوقع الارسال عرف عليهما و يؤيده أن الرياح موكّل بها الملائكة تسوقها و تصرفها ، و يؤيد كونها "الرّياح" عطف "العاصفات" عليها ب (فاء) التعقيب و التسبيب ، فكأنها أرسلت فعصفت .

و من جعل "المرسلات" الملائكة قال : هي تعصف في مضيّها مسرعة كما تعصف الرّياح ، و قال كثيرون أنها الرّياح.

و أما " الناشرات نشرا" فهو استئناف قسم آخر و لهذا أتى به ب (الواو) و ما قبله معطوف على القسم الأول ب (الفاء) .[1]

و يجوز أن يكون "الناشرات" لازما لا مفعولا له ، و يكون المراد أنهن ينشرن كذا ، فإنّه يقال: نشر الميت أي الحي ، و أنشره الله إذا أحياه ، فيكون المراد بها الأنفس التي حييت بالعرف الذي أرسلت به (المرسلات) أو الأشباح و الارواح و البقاع التي حييت بالرياح ، فإن الرّياح سبب لنشور الأبدان و النبات ، و الوحي سبب لنشور الأرواح ، و لكن هنا أمر ينبغي التفطن له ، و هو أن الله تعالى جعل الأقسام في هذه السورة نوعين و فصل أحدهما من الآخر، و جعل (العاطفات) معطوفا على (المرسلات) ب (فاء) التعقيب فصار كأنهما نوع واحد ، ثم جعل (الناشرات) كأنه قسم مبتدأ فأتى فيه (الواو) ثم عطف عليه (الفارقات) و

[1] المرجع السابق ، التبيان في أيمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ، ص 639

(الملقيات) ب (فاء) و أوهم هذا أن (الفارقات) و (الملقيات) مرتبط ب (الناشرات) و أن (العاصفات) مرتبط ب(المرسلات)[1].

و قد اختلف في (الفارقات) و الأكثرون على أنها الملائكة ، و يدل عليه عطف (الملقيات ذكرا) عليها (الفاء) و هي الملائكة بالاتفاق

و على هذا فيكون القسم بالملائكة التي نشرت أجنحتها عند النزول ، ففرقت بين الحق و الباطل ، فألقت الذكر على الرسل إعذارا و إنذارا.

و يُنظر أن القسم في هذه السورة وقع على نوعين الرياح و الملائكة ، وجه المناسبة : أن حياة الأرض و النبات و أبدان الحيوان بالرّياح فإنها روح الله ، وقد جعلها الله تعالى نشورا و حياة القلوب و الأرواح بالملائكة .

فبهذين النوعين يحصل نوعا الحياة و لهذا فصل أحد النوعين من الآخر ب (الواو) و جعل ما هو تابع لكل نوع بعد (الفاء)

و تأمل كيف وقع القسم في هذه السورة على المعاد و الحياة الدائمة الباقية ، وحال السعداء و الأشقياء فيها ، و قدّرها بالحياة الأولى في قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ ٠٢

فذكر فيها المبدأ و الميعاد ، و أخلص السورة لذلك فحسن الإقسام بما يحصل به نوعا الحياة المشاهدة ، و هو الرّياح و الملائكة فكان القسم بذلك أبين دليل ، و أظهر آية على صحة ما أقسم عليه و تضمنته السورة[2].

3/ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾ الطور: ١ - ٨

تضمن هذا القسم خمسة أشياء و هي مظاهر آياته و قدرته و حكمته الدالة على ربوبيته ووحدانيته ، ف "الطور" هو الجبل الذي كلّم الله عليه نبيّه و كليمه موسى بن عمران ،

[1] المرجع السابق ، التبيان في أيمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ، ص 226-227

[2] المرجع السابق ، التبيان في أيمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ، ص 228-229

وهذا الجبل مظهر بركة الدنيا و الآخرة ، و هو الجبل الذي اختاره الله لتكليم موسى عليه السلام (كتاب مسطور) قيل هو اللوح المحفوظ ، و قيل هو كتاب الذي تضمن أعمال بني آدم ، و قيل هو القرآن و هو أرجح الأقوال ، لأنه سبحانه وصف القرآن بأنه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ عبس: ٣١ - ٦١

فالرِّقُّ هي الصحف وكونه بأيدي سفرة هو كونه منشورا .

و على هذا فيكون قد أقسم بسيد الجبال و سيد الكتب ، و يكون ذلك متضمنًا للنبوتين نبوة موسى و نبوة محمد ﷺ[1]

ثم أقسم بسيد البيوت و هو (البيت المعمور) فالمشهور أنه (الضرّاح) الذي في السماء الذي رفع للنبي في ليلة الاسراء ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، و هو بحبال البيت المعمور في الأرض .

و قيل هو البيت الحرام.

لا ريب أن كلاّ منها بيت مهمور فهذا معمور بالملائكة و عبادتهم ، و هذا معمور بالطائفين و القائمين و الركع السجود ، و على كلا القولين فكلّ منهما سيد البيوت .

ثم أقسم سبحانه بمخلوقين عظيمين من بعض مخلوقاته و هما مظهر آياته و عجائب صنعته و هما : (السقف المرفوع): و هو السماء، فإنها من أعظم آياته قدرا و ارتفاعا و سعة و سمكا و لونا و اشراقا وهي محل ملائكته و سقف العالم و منها تنزل البركات و إليها تصعد الأرواح و أعمالها.

و الثاني (البحر المسجور): و هو آية عظيمة من آياته و عجائبه لا يحصيها إلا الله و اختلف في هذا البحر ، هل هو البحر الذي فوق السماوات أو البحر الذي نشاهده الآن؟ فقال طائفة: هو البحر الذي عليه العرش و بين أسفله و أعلاه مسيرة خمسا مئة عام ، و الثاني أنه بحر الأرض .

و اختلف في (المسجور) فقيل المملوء ، و قال مجاهد المسجور : الموقد ، و حكي هذا القول عن علي بن أبي طالب قال (مسجور بالنّار)[1].

[1] المرجع السابق ، التبيان في ايمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ،ص399-401

و أقوى الاقوال في المسجور أنه الموقد و إذا اعتبرت أسلوب القرآن ونظمه و مفرداته رأيت اللفظة تدل على ذلك كلّه ، فإن البحر محبوس بقدرة الله تعالى ومملوء ماء و يذهب ماءه يوم القيامة و يصير نارا .

و أقسم سبحانه بهذه الامور على المعاد و الجزاء فقال تعالى " إن عذاب ربّك لواقع" و لما كان الذي يقع قد يمكن دفعه أخبر سبحانه أنه دافع له ، و هذا يتناول أمرين:

أحدهما : أنه لا دافع لوقوعه ، و الثاني : أنه دافع له إذا وقع[2]

الفرع الثاني : تفسير الإمام الطاهر بن عاشور

1/قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ۝٦﴾ الذاريات:١ - ٦

القسم المفتتح به مراد منه تحقيق المقسم عليه و تأكيد وقوعه ، و قد أقسم الله بعظيم من مخلوقاته و هو في معنى القسم بقدرته و حكمته و متضمنٌ تشريف تلك المخلوقات بما في أحوالها من نعم و دلالة على الهدى و الصلاح ، و في ضمن ذلك تذكير بنعمة الله فيما أوجد فيها ، و المقسم بها صفات تقتضي موصوفها ، قال إن القسم بالموصوفات لأجل تلك الصفات العظيمة و عطف تلك الصفات بالفاء تقتضي تناسبها و تجانسها ، فيجوز أن تكون صفات لجنس واحد و هو الغالب في عطف الصفات بالفاء.[3]

و اختلف أئمة السلف في محمل هذه الأوصاف و موصوفاتها ، و أشهر ما روي عنهم في ذلك ما روي عن علي بن أبي طالب و ابن عباس و مجاهد أن الذاريات :الرّياح لأنها تذرو التراب فالحاملات وقرا : السحاب ، فالجاريات : السفن ، فالمقسمات أمرا: الملائكة ، و هو يقتضي اختلاف الأجناس المقسم بها ، و تأويله أن كل معطوف عليه يسبب ذكر المعطوف لإلتقائها في الجامع الخيالي ، فالرياح تذكر بالسحاب و حمل السحاب وقر الماء يذكر بحمل السفن و الكّل يذكر بالملائكة.

---

[1] المرجع السابق، معاني القرآن ، الفراء ، ص91

[2] المرجع السابق ، التبيان في ايمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ، ص 409-411

[3] المرجع السابق، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ، ج26، ص337

فالحاملات وقرا: وهي الرّياح حين تجمع السحاب ، و قد نقل بالماء ، شبّه جمعها إيّاه بالحمل لأن الشيء الثقيل أن يحمله الحامل وهذا في معنى قوله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾ الرعد: ٢١ و الوِقر بكسر الواو : الشيء الثقيل.

و يجوز أن تكون الحاملات الأسحبة التي ملئت ببخار الماء الذي يصير مطرا ، عطفت بالفاء على الذّاريات بمعنى الرّياح لأنها ناشئة عنها كأنها هي.

فالجاريات يسرا: الرّياح تجري بالسّحاب بعد تراكمه و قد صار ثقيلا بماء المطر ، فالتقدير فالجاري بذلك الوِقر يسرا ، و معنى اليُسر اللّين و الهون : أي الجاريات جريا ليّنا هيّنا شأن السير الثقيل.

و فالمقسمات أمر :الرّيّاح التي تنتهي بالسّحاب إلى الموضع الذي يبلغ عنده يزول ما في السحاب من ماء أو هي السحب التي تُنزل ما فيها من مطر على مواضع مختلفة .[1]

و من رشاقة هذا التفسير أن فيه مناسبة بين المقسم به و المقسم عليه و هو قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾﴾ الذاريات:٥ - ٦

فعن أحوال الرياح المذكورة هنا مبدؤها نفخٌ فتكوينُ فإحياءٌ ، و كذلك البعث مبدؤه نفخ الصدور ، فإلتمام أجساد الناس التي كانت معدومة ، فبثّ الارواح فيها فإذا هم قيام ينظرون.

فتعيين أن تكون توعدون مشتقا من الوعيد الذي ماضيه (أوعد) و هو يبني للمجهول فأصل تؤوعدون بهمزة مفتوحة بعد تاء مضمومة وواو بعد الهمزة هي عين فعل (أوعد) و بفتح العين لأجل البناء للمجهول ، و الذي أوعدوه عذاب الآخرة و عذاب الدنيا مثل الجوع في سنين القحط السبع.

و يجوز أن تكون توعدون من الوعد : أي الإخبار بشيء يقع في المستقبل مثل قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴿٣٣﴾﴾ لقمان: ٣٣ ووزنه تُفعلون ، و المراد إثبات البعث الذي أنكروه.

ووصف الصادق مجاز عقلي إن الصادق هو الموعد به

[1] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ،ج26، ص338-339

و الدين : الجزاء ، و المراد إثبات البعث الذي أنكروه.

و معنى الواقع : واقع في المستقبل بقرينة جعله مرتب في الذكر على ما يوعدون أو إنما يكون حصول الموعود به في زمن المستقبل و في ذكر الجزاء زيادة على كتابة به عن إثبات البعث تعريض بالوعيد على إنكار البعث[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣﴾ الذاريات: ٣٢

و بعد أن أكد الكلام بالقسم ب"الذاريات" و ما عطف عليها فرّع عن ذلك زيادة تأكيد بالقسم بخالق السماء و الارض دون ذكر ضميرهما لإدخال المهابة في نفوس السامعين بعظمة الربّ سبحانه ، و ضمير إنّه لحق عائد إلى ما توعدون ، و هذا من ردّ العجز على المصدر لأنّه ردٌّ على قوله أوّل السورة "إنّما توعدون لصادق" و انتهى الغرض.

و قوله : مثل ما أنكم تنطقون زيادة تقرير لوقوع ما أوعدوه بأن شُبّه بشيء معلوم كالضرورة لا امتراء في وقوعه ، و هو كون المخاطبين ينطقون و هذا نظير قولهم : كما أن قبل يوم أمس ، أو كما أنّ بعد يوم غدا.[2]

و قرأ الجمهور : مثلَ بالنصب على أنه صفة حال محذوف قُصد منه التأكيد ، و التقدير : أنّه لحقٌ حقًّا مثل ما أنكم تنطقون ، و ما الواقعة بعد مثلَ زائدة للتوكيد ، و أردفت ب "أن" المفيدة للتوكيد تقوية لتحقيق حقّية ما توعدون ، و اجتنب المضارع في تنطقون دون أن يقال نطقكم ، يفيد التشبيه بنطقكم المتجدد و هو أقوى في الوقوع لأنّه محسوس .[3]

2/قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ٧﴾ المرسلات: ١ - ٧

قسم بمخلوقات عظيمة دالة على عظم علم الله تعالى و قدرته و المقصود من هذا القسم تأكيد الخبر ، وفي تطويل القسم تشويق السامع لتلقي المقسم عليه ، فيجوز أن يكون المراد بموصوفات هذه الصفات نوعا واحدا ، و يجوز أن يكون نوعين أو أكثر من المخلوقات

[1] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ، ج26، ص340

[2] المرجع السابق ، التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور ، ج26، ص355

[3] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ، ج26، ص356

العظيمة ، و مشى صاحب " الكشاف" على أن المقسم بها كلها ملائكة ، و لم يختلف أهل التأويل أن فالملقيات ذكرا الملائمة.

و قال الجمهور : العاصفات الرياح ولم يحك الطبري فيه مخالفا . و قال القرطبي قبل العاصفات الملائكة ، فالفارقات لم يحك الطبري إلا أنها الملائكة أو الرسل و حكى القرطبيُّ عن مجاهد أنها الرياح ، و فيما عدا هذه الصفات اختلف المتأولون فمنهم من حملها على أنها ملائكة و منهم من حمل على أنها الرياح ، فالمرسلات قال ابن مسعود و أبو هريرة و مقاتل هي ملائكة ، قال ابن عباس و قتادة هي الرياح ، و يتحصل من هذان أن الله أقسم بجنسين من مخلوقاته العظيمة مثل قوله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ ﴾ ال بروج:١ – ٢

فالأرجح أن المرسلات و العاصفات صفتان للرّياح ، و أن ما بعدها صفات للملائكة، و الواو الثانية للعطف و ليست حرف قسم ، و مناسبة الجمع بين هذين الجنسين في القسم أن كليهما من الموجودات العلوية لأن الاصل في العطف بالواو أن يكون المعطوف بها ذات غير المعطوف عليه و ما جاء بخلاف ذلك فهو خلاف الأصل.[1]

فأما المرسلات فإذا جعل وصف للملائكة كان المغنيّ بهم المرسلين من الرسل و الأنبياء مثل جبريل في إرساله بالوحي و غيره من الملائكة الذين يبعثهم الله إلى بعض أنبياءه بتعليم خبر أو نصر ، أو المرسلات بتنفيذ أمر الله في العذاب مثل المرسلين إلى قوم لوط.

و عرفاً: حال مفيدة معنى التشبيه البليغ و يقال جاءوا عرفا واحدا و هو صالح لوصف الملائكة و الريح فالعاصفات تفريغ على المرسلات أي ترسل فتعصف حقيقة ، و إن أريد بالمرسلات وصف الملائكة فالعصف تشبيه لنزولهم في سرعة بشدة الريح و لك في المبادرة في سرعة الوصول بتنفيذ ما أمروا به ، فالناشرات إذا جعل وصف للملائكة جاوز أن يكون نشرهم للوحي ، أي تكرير نزولهم لذلك وأن يكون كناية عن الوضوح أي بالشرائع البينة.

[1] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ، ج29، ص419-420

و إذا جعل وصفا للرّياح فهو نشر السحاب في الاجواء فيكون عطفه بالواو دوم الفاء لتنبيه على أنه معطوف على المرسلات على فالعاطفات لأن العصف حال مضرّة و النشر حالة نفع.[1]

و الفرق : التمييز بين الأشياء فإذا كان وصفا للملائكة فهو صالح للفرق الحقيقي مثل تمييز أهل الجنة عن أهل النار يوم الحساب.

و إن جعل وصفا للرّياح فهو من آثار النشر، أي فرقها جماعات السحب على البلاد.

و الملقيات: الملائكة الذين يبلغون الوحي و هو الذكر و إلقاء الذكر تبليغ المواعظ إلى الرسل ليبلغوها إلى الناس و هذا الإلقاء متفرع على الفرق لأنهم يخصّون كل ذكر بمن هو محتاج إليه .

و معنى عذرا أو نذرا : فالعذر: الاعلام بقبول إيمان المؤمنين بعد الكفر و توبة التائبين بعد الذنب.

و النذر: اسم مصدر أنذر إذا حذّر.[2]

و جملة "إنما توعدون لواقع "جواب القسم و زيدت تأكيدا لتحقيق وقوع الجواب ، و جملة إنما توعدون هو البعث للجزاء و هو يعلمون الصلة فلذلك جيء في التعبير عنه بالموصولية، و الواقع الثابت و أصل الواقع الساقط على الأرض فاستعير لشيء المحقق تشبها بالمستقر و الخطاب للمشركين : أي ما توعّدكم الله به من العقاب بعد البعث واقع لا محالة و إن شككتم فيه أو نفيتموه[3]

3/قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨ ﴾ الطور: ١ - ٨

[1] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ، ج29، ص421

[2] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ، ج29، ص422

[3] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ،ج29، ص 423

القسم لتأكيد و التحقيق الوعيد و مناسبة الأمور المقسم بها للمقسم عليه أن هذه الأشياء المقسم بها من شؤون بعثة موسى عليه السلام إلى فرعون و كان هلاك فرعون ومن معه من جزاء تكذيبهم موسى عليه السلام.

و الطور: الجبل و الغالب علما علو طور سينا الذي ناجا فيه موسى عليه السلام ، و أنزل عليه فيه الألواح المشتملة على أصول الشريعة التوراة ، فالقسم به باعتبار شرفه بنزول كلام الله فيه و نزول الألواح على موسى و في ذكر الطور إشارة إلى تلك الألواح لأنها اشتهرت بذلك الجبل ، فسميت طور المعرب بالتوراة

و القسم بالطور توطئة للقسم بالتوراة التي أنزل أولها على موسى في جبل الطور ، و المراد بكتاب مسطور في رقٍ منشور : التوراة كلها التي كتبها موسى عليه السلام بعد نزول الألواح، و ضمنها كل ما أوحى الله إليه مما أمر بتبليغه.

و الرّقُ : الصحيفة تتخذ من جلد مرقق أبيض ليكتب عليه.

المنشور: المبسوط غير المطويّ[1]

أي أقسم بحال نشره لقراءته و هي أشرف أحواله لأنها حالة حصول الاهتداء به للقارء و ليس المراد بكتاب مسطور القرآن لأن القرآن لم يكن يومئذ مكتوبا مسطورا ولا هو مكتوب في الرّق، و مناسبة القسم بالتوراة أنها الكتاب الموجود الذي ذكر فيه الجزاء و ابطال الشرك ، و للإشارة على أن القرآن الذي أنكروا أنه من عند الله ليس بدعاً ، فقد نزلت قبله التوراة و ذلك لأن المقسم عليه وقوع العذاب بها و إنما هو جزاء على تكذيبهم القرآن و من جاء به .

البيت المعمور : عن الحسن أنه الكعبة و هذا الأنسب بعطفه على الطور ووصفه بالمعمور لأنه لا يخلوا من طائف به ، و عمران الكعبة هو عمرانها بالطائفين.[2]

و مناسبة القسم سبق القسم بكتابة التوراة بعقب ذلك بالقسم بمواطن نزول القرآن فأن ما نزل به القرآن أنزل بمكة و ما حولها من جبل حراء ، و كان نزوله شريعة ناسخة لشريعة

[1] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور، ج27،ص38

[2] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ، ج27، ص39

التوراة ، فيكون توسط القسم بالكعبة في أثناء ما أقسم به من شؤون شريعة موسى عليه السلام إدماجا

و أما السقف المرفوع: ففسروه بالسماء قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ ٢٣

فالرفع حقيقي و مناسبة القسم بها أنها مصدر الوحي كلّه التوراة و القرآن و تسوية السماء على طريقة التشبيه البليغ .

و البحر: يجوز أن يراد به البحر المحيط بالكرة الأرضية أو المقصود به البحر الأحمر الذي به أهلك فرعون و أهله.

و المسجور: قيل المملوء من السّجر.[1]

و عذاب الله المقسم على وقوعه هو عذاب الآخرة لقوله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ الطور: ٩ - ٤١

و أما عذاب المكذبين في الدنيا فسيجيء في قوله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الطور: ٧٤و تحقيق وقوع عذاب الله يوم القيامة إثباتا للبعث بطريق الكناية القريبة ، و تهديد للمشركين بطريق الكناية التعريضية، و الواوات التي في هذه الآية كلها واوات القسم لأن شأن القسم أن يعاد و يكرر .

و الوقع أصله النزول من العلوّ و استعمل مجازا للتحقيق و شاع ذلك ، فالمعنى أن عذاب ربّك لمحقق ، و تضمّن قوله " عن عذاب ربّك لواقع إثبات البعث بعد كون الكلام وعيداً لهم على إنكار البعث و إنكارهم أن يكونوا معذبين .

و الدافع : ابعاد الشيء عن شيء باليد و أطلق هنا على الوقاية مجازا و علاقة الإطلاق أن لا يقيهم عذاب الله أحد بشفاعة أو معارضة [1]

[1] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ، ج27، ص39

المطلب الخامس : دلالة القسم في حال الإنسان

الفرع الأول : تفسير الإمام ابن القيّم الجوزية

1/ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ۝٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ۝٥ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦﴾ العاديات:١ - ٦

قال علي بن أبي طالب : هي إبل الحّج تعدو من عرفة إلى مزدلفة و من مزدلفة إلى منى.

و قال ابن عباس هي خيل الغزات[2]

قال أصحاب قول" الإبل" أن السورة مكية ، و لم يكن ثمّ جهاد و لا خيل تجاهد ، و إنما أقسم بما يعرفونه و يألفونه و هو إبل الحاجّ إذا عدت من عرفة إلى مزدلفة فهي (عاديات) و (الضبح) و (الضبع) مدّ الناقة ضبعها في السير يقال صبحت و ضبعت[3].

قالوا : فهي تعدوا ضبحا ، تتورى بأخفافها النار من حكّ الأحجار بعضها ببعض ، فتثير النقع : و هو الغبار بعدوها ، فتتوسط جمها و هو مزدلفة[4].

قال أصحاب قول "الخيل" المعروف في اللغة أن (الضبح) أصوات أنفاس الخيل إذا عدون و المعنى :و العاديات تضبح ضبحا في عدوّها ضبحا ، و هو صوت يسمع من أجوافها ليس بالصهيل و لا الحمحمة ، و لكنه صوت أنفاسها في أجوافها من شدّة العدو[5]

السياق يدل على أنها الخيل و هو قوله تعالى " فالموريات قدحا" (الايراء) لا يكون إلا بالحوافر لصلابته ، و أما الخفّ ففيه لينٌ و استرخاء ، و قالوا (الضبح) في الخيل أظهر منه في الإبل[6]

---

[1] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ، ج27،ص 41

[2] زاد الميسر في علم التفسير ، عبد الرحمان بن محمد الجوزي ، مكتبة الاسلامي ، دار ابن حزم ، ج8، 2002م ، ص294

[3] المرجع السابق ، تهذيب اللغة ، محمد الأزهري ، ج4 ، ص219

[4] الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ، اسماعيل ين حامد الجوهري ، ت احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، 2007م ، ص385

[5] المرجع السابق ، تهذيب اللغة ، محمد الأزهري ، ج4 ، ص219

[6] المرجع السابق ،لسان العرب ، ابن منظور ، ص 1318

قالوا (النقع) هو الغبار : إثارة الخيل بعدوها له أظهر من إثارة أخفاف الإبل ، لأنها بصلابة حوافرها تثير من الغبار بعدوّها مالا تثيره أخفاف الإبل ، و الضمير (به) عائد على المكان الذي تعدو فيه.

و القسم إنما وقع بما تضمنه شأن هذه (العاديات) من الآيات البيّنات من خلق هذا الحيوان الذي هو من أكرم الحيوان البهيم و أشرفه و هو الذي يحصل به الغزو و الظفر و النصر على الأعداء ، فذكّرهم بنعمه عليهم في خلق هذا الحيوان الذي ينتصرون به على أعدائهم و يدركون له ثأرهم ، كما ذكّرهم سبحانه بنعمه عليهم في خلق الإبل التي تحمل أثقالهم من بلد لبلد ، و خص الإغارة بالصبح لأن العدو لن ينتشروا إن ذاك ، و لم يفارقوا محلّهم ، و أصحاب الإغارة جامّون مستريحون يبصرون مواقع غارة العدو ، و لم يأخذوا أهبتهم بل هم في غرتهم و غفلتهم و لهذا كان النبي ﷺ إذا أراد الغارة صبر حتى يطلع الفجر

و الموريات : هي العاديات بعينها ، و لهذا عطفها عليها ب (الفاء) التي لتسبيب فإنها عدّت فأورت [1] ، و قال قتادة (الموريات) هي الخيل توري نار العداوة بين المقتتلين[2].

فهذا شأن القسم ، و أما شأن المقسم عليه فهو حال الإنسان و هو كون الإنسان كنوداً بشهادته على نفسه أو شهادة ربّه عليه.

الكنود : الكفور للنعمة ، قال الحسن هو اللوّام لربه ، يعد المصائب و ينسى النعم[3]

2/ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ العصر: ١ - ٣

ومن ذلك إقسامه سبحانه ب(العصر) على حال الإنسان في الآخرة ، و هذه السورة على غاية اختصارها لها شأن عظيم حتى قال الشافعي رحمه الله " لو كفر النّاس كلّهم فيها لكفتهم"[4].

---

[1] جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ابن جرير الطبري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ج12 ، 1994م ، ص 668

[2] المرجع نفسه ، جامع البيان ، ابن جرير الطبري ، ج 12 ، ص668

[3] المرجع السابق ، جامع البيان ، ابن جرير الطبري ، ج12 ، 673

[4] تفسير ابن كثير ،اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، ت سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة ، ج8 ، 1999م ، ص479

و (العصر) المقسم به قيل هو الوقت الذي يلي المغرب من النهار[1]، و قيل المراد هو صلاة العصر ، و أكثر المفسرين على أنه الدّهر و هذا أرجح الأقوال[2].

فأقسم سبحانه بالعصر لمكان العبرة و الآية فيه ، فإن مرور الليل و النهار على تقدير قدّره العزيز العليم ، و انقسام العصر إلى قرون و السنين و الأشهر و الأيام و ساعات و ما دونها آية من آيات الربّ تعالى وبرهان من براهين قدرته و حكمته.

فأقسم بالعصر الذي هو زمان أفعال الإنسان و محلها على عاقبة تلك الأفعال و جزائها ، و نبّه بالمبدأ و هو خلق الزّمان و الفاعلين و أفعالهم على المعاد و جعلها قسمين خيرا و شرا تأبى أن يساوي بينهم و أن لا يجازي المحسنين بإحسانه و المسيء بإساءته و أن يجعل النوعين رابحين أو خاسرين .

و تأمل قول القرآن لما قال " إن الإنسان لفي خسر" ضيّق الاستثناء و خصّصه فقال قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ العصر: ٣ و لما قال قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ التين: ٥وسع الاستثناء و عمّمه فقال " إلا الذين ءامنوا و عملوا الصالحات" و لم يقل (وتواصوا) فإن التواصي هو أمر الغير بالإيمان و العمل الصالح ، فمن لم يكن كذلك فقد خسر هذا الربح فصار في خسر.

و"التواصي بالحق" يدخل فيه الحق الذي يجب و الحق الذي لا يستحب.

و"الصبر" يدخل فيه الصبر الذي يجب و الصبر الذي لا يستحق.[3]

فهؤلاء إذا تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر حصل لهم من الربح ما خسره أولائك الذين قاموا بما يجب عليهم في أنفسهم و لم يأمروا غيرهم به ، و إن كان لهم أن يكونوا من الذين خسروا أنفسهم و أهليهم فمطلق الخاسر شيء ، و الخسار المطلق شيء ، و هو سبحانه إنما قال " إنّ الإنسان لفي خسر" من ربح في سلعة و خسر في غيرها يطلق عليه أنه في خسر ، فهذا تفريط و هو نوع خسر بالنسبة إلى من حصل ربح ذلك

[1] المرجع السابق ، جامع البيان ، ابن جرير الطبري ، ج20، ص 179

[2] المرجع نفسه ، جامع البيان ،ابن جرير الطبري ، ج12، ص684

[3] المرجع السابق ، التبيان في أيمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ، ص 134-136

و قوله " و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر" إرشاد إلى منصب الإمامة في الدين كقوله : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ السجدة: ٤٢ فالصبر و اليقين ينال الإمامة في الدين [1]

3/قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾ التين: ١ - ٣

أقسم سبحانه بهذه الأمكنة الثلاثة العظيمة التي هي مظاهر أنبيائه و رسله أصحاب الشرائع العظام و الامم الكثيرة.

ف(التين و الزيتون) المراد به نفس الشجرتين المعروفتين و منبتهما هو أرض المقدس ، و قال جماعة من المفسرين أنه سبحانه أقسم بهذين النوعين من الثمار لمكان العبرة فيهما ، فإن (التين) فاكهة قوت و غذاء ، و أما (الزيتون) ففيه من الآيات ما هو ظاهر لمن اعتبر ، فإن عوده يخرج ثمرا يعصر منه هذا الدهن الذي هو مادة النور و صبغ للآكلين و طيب و دواء و فيه مصالح الخلق أجمع .

ثم أقسم ب(البلد الأمين) و هو مكة ، مظهر خاتم الانبياء و الرسل.

و ترقّى في هذا القسم من الفاضل إلى الأفضل ، فبدأ بموضع مظهر المسيح ، ثم ثنى موضع مظهر الكليم ، ثم ختم بموضع مظهر عبده و رسوله و أكرم الخلق عليه.

و لما كان الغالب على بني اسرائيل حكم الحس ، ذكر ذلك مطابقا للواقع ، و لما كان الغالب على الأمة الكاملة حكم العقل ذكرها على الترتيب العقلي ، و أقسم بها على بداية الإنسان و نهايته فقال قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ التين: ٤أي في أحسن صورة و شكل و اعتدال .

و القويم : تصير الشيء على ما ينبغي أن يكون في التأليف و التعديل . أرسل منها رسلا عليهم كتبه و يعرّفون العباد بربهم و حقوقه عليهم و ينذرهم بأسه و نقمه.

ثم لما كان الناس في إجابة هذه الدعوة فريقين ، منهم من أجاب و منهم من أبى ، ذكر حال الفريقين فذكر حال الأكثرين وهو المردودون إلى أسفل السافلين ، و الصحيح أنه النار ، قال علي لن أبي طالب "هي النار بعضها أسفل بعض"[1]

[1] المرجع السابق ، التبيان في أيمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ، ص 137

و قوله "غير ممنون" أي غير مقطوع و لا منقوص و لا مكدّر عليهم، و قيل هو الباطل بعينه ، فإن ذلك الأجر ليست الأعمال ثمنا له و لا معارضة عنه .

و قوله " فما يكذب بعد بالدين "أن هذا خطاب للإنسان : أي فما يكذبك بالجزاء و المعاد بعد هذا البيان و هذا البرهان ، فنقول إنك لا تبعث و لا تحاسب؟ و لو تفكرت في مبدأ خلقك و صورتك لعلمت أن الذي خلقك أقدر على إعادتك بعد موتك و نشأتك خلقا جديدا من خلقك الأول ، فإن الذي كمّل خلقك في أحسن تقويم بعد أن كنت نطفة من ماء مهين ، كيف له أن يدركك سدى ، لا يكمّل ذاتك بالأمر و النهي و بيان ما ينفعه و لا يضره ، و لا يبعثك لدار هي أكمل من هذه الدار و يجعل هذه الدار طريقا لك إليها ، فحكمة احكم الحاكمين تأبى ذلك.

و قوله " فما يكذبك بعد بالدين اختلف في (ما) هل هي لمعنى : أي شيء يكذّبك ، أو بمعنى من الذي يكذّبك؟

فمن جعلها بمعنى : أي شيء تعيّن على قوله أن يكون الخطاب للإنسان أي : فأي شيء يجعلك بعد هذا البيان مكذّبا بالدين و قد وضحت لك دلائل الصدق و التصديق ؟ و من جعلها بمعنى: فمن الذي يكذّبك : جعل الخطاب لنبيّ ﷺ[2].

و جواب هذا الاشكال : أن قوله : كذّب بكذا معناه كذّب المخبر به ، ثم حذفوا المفعول لظهور العلم به حتى كأنه نسيء منسي وعدّوا الفعل إلى المخبر به ، فإذا قيل من يكذّب بكذا؟ فهو بمعنى كذّبوك بكذا ، أي نسبوك غلى الكذب في الإخبار به[3]

ثم ختم السورة ب قَالَ تَعَالَىٰ:﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ ال تين: ٨هذا تقرير لمضمون السورة من إثبات النبوة و التوحيد و المعاد ، و حكمه يتضمن نصره لرسوله على من كذّبه و جحد ما جاء به من حجة ، و حكمه بين عباده في الدنيا بشرعه و أمره و حكمه بينهم في الآخرة بالثواب و العقاب.

---

[1] المرجع السابق ، تفسير ابن كثير ، ج8، ص435

[2] المرجع السابق ، التبيان في أيمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ، ص 79

[3] المرجع السابق ، التبيان في ايمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ، ص 84

4/قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ الليل: ١ - ٤

فهو سبحانه يقسم ب "الليل" في جميع أحواله ، إن هو من آياته الدالة عليه فأقسم له وقت غشيانه ، و أتى به بصيغة المضارع لأنه يغشى شيئا بعد شيء ، و أما "النهار" فإذا طلعت الشمس ظهر و تجلى وهلة واحدة ، و لهذا قال في سورة الشمس قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤﴾ الشمس: ٣ - ٤

و أقسم به وقت سريانه كما تقدم ، و أقسم به وقت إدباره وأقسم به إذا عسعس فقيل معناه: أدبر[1] فيكون معناه مطلقا ل قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ۝٣٤﴾ المدثر: ٣٣ - ٤٣

و قيل معناه : أقبل[2] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ الليل: ١ - ٢

فيكون قد أقسم بإقبال الليل و النهار ، و على الأول يكون قسم واقعا على انصرام الليل و مجيء الصبح عقبه ، و كلاهما من آية ربوبيته.

ثم أقسم بخلق الذكر و الأنثى ، و ذلك يتضمن الإقسام بالحيوان على اختلاف أصنافه، ذكره و أنثاه ، و قابل بين الذكر و الأنثى كما قابل بين الليل و النهار ، فأخرج من الأرض ذكور الحيوان و إناثه على اختلاف أنواعه ، كما أخرج من السماء الليل و النهار بواسطة الشمس فيها، و أقسم سبحانه بزمان السعي و هو الليل و النهار ، و بالساعي و هو الذكر و الأنثى على اختلاف السعي ، كما اختلف الليل و النهار و الذكر و الأنثى.

و سعيه و زمانه مختلف و ذلك دليل على اختلاف جزائه و ثوابه ، و أنه سبحانه لا يسوّي بين من اختلف سعيه في الجزاء كما لم يسوّ بين الليل و النهار و الذكر و الأنثى.

ثم أخبر عن تفريق بين عاقبة سعي المحسن و عاقبة سعي المسيء فقال قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩﴾

[1] المرجع السابق ، جامع البيان ، ابن جرير الطبري ، ج12، ص370

[2] المرجع السابق ، جامع البيان ، ابن جرير الطبري ، ج12، ص370

فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ الليل: ٥ – ١٠فتضمنت الآيتان ذكر شرعه و قدره ، و ذكر الاعمال و الجزاء و حكمة القدر في تسيير هذا لليسرى ، و هذا للعسرى و أن العبد الميسّر بأعماله لغايتها و لا يظلم ربّك أحدا .

ثم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ الليل: ٢١ – ٣١و هذا قول مجاهد و هو أصل الاقوال [1].

و لما أقام سبحانه الدليل وأنار السبل و أوضح الحجة ، أنذر عباده بعذابه الذي أعدّه لمن كذّب خبره ، و تولّى عن طاعته ، و جعل هذا الصنف من الناس هم أشقاهم ، كما جعل أسعدهم أهل التقوى و الاحسان ، فهذا الصنف هو الذي يتجنّب عذابه كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ الليل: ٧١ – ٨١و نبّه بقوله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٍ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ ﴾ الليل: ٩١على أن نعمة الإسلام التي لرسول الله على هذا الأتقى لا تجزى ، فإن كان ذي نعمة يمكن جزاء نعمته إلا نعمه الإسلام فإنها يمكن جزاؤها من النعم بها عليه. [2]

و نبّه سبحانه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ الليل: ٠٢على أن من ليس لمخلوق عليه نعمة تجزى لا يفعل ما يفعله إلا ابتغاء وجه ربّه الأعلى ، لتكون معاملته كلّها لله ابتغاء وجهه و طلب مرضاته

الفرع الثاني . تفسير الإمام الطاهر بن عاشور

1/قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ﴿١﴾ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ﴿٢﴾ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ﴿٣﴾ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ﴿٤﴾ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴿٦﴾ ﴾ العاديات:١ - ٦

أقسم الله بالعاديات و هي اسم فاعل من العدو و السير السريع يطلق على سير الخيل و الإبل خاصة ، و قد يوصف به سير الإنسان.

[1] المرجع السابق ، جامع البيان ، ابن جرير الطبري ، ج20 ، ص 87

[2] المرجع السابق ، التبيان في أيمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ، ص 106-109

"الضبح" اضطراب نفس المتردّد في الحنجرة دون أن تخرج من الفم و هو من أصوات الخيل و السباع ، و اعتمد صاحب "القاموس" على تفسير العاديات بأنها الإبل يكون الضبح لصوت الإبل : أي من شدّة العدو قويت الأصوات المتردّدة في حناجرها حتى اشبهت ضبح الخيل ، و على وجه أن المقسم به رواحل الحجّ ، فالمقسم بها لتعظيمها بما تُعنا به من مناسك الحج ، و اختير القسم بها لأن السامعين يوقنون أن ما يقسم عليه بها محقق ، فهي معظّمة عند الجميع من المشركين و المسلمين .

"الموريات" التي تورى أي توقد.

"القدح" حك الجسم على آخر لقدح ناراً ، يقال قدح فأورى و انتصب قدحاً على أنه مفعول مطلق مؤكد لعامله وكل من سنابك الخيل و مناسم الإبل تفتح إذا صكت الحجر الصّوان ناراً تسمى نار الحباحب ، فيكون قدحاً ترسيخا لاستعارة (الموريات) و منصوبا على المفعول المطلق ل (الموريات).[1]

"المغيرات" اسم فاعل من أغار ، و الإغارة تطلق على غزو الجيش ، فإسناد الإغارة إلى ضمير العاديات مجاز عقلي .

"صبحا" ظرف زمان فإذا فسّر (المغيرات) بخيل الغزاة فتقيد بذلك بوقت الصبح لأنهم كانوا إذا غزو لا يغيرون على القوم إلا بعد الفجر ، و إذا فسّر (المغيرات) بالإبل المسرعات في السير فالمراد دفعها من مزدلفة إلى منى صباح يوم النحر ، و كانوا يدفعون بكرة عندما تشرق الشمس.

"أثرت به نقعا" :أصعدن الغبار من الأرض من شدّة عدوهن و الإثارة : الاهاجة ، و النقع : الغبار و الباء في به يجوز أن تكون سببية و الضمير المجرور عائد إلى العدو المأخوذ من العاديات، و يجوز كون الباء الظرفية و الضمير العائد إلى صبحاً : أي أثرن في ذلك الوقت و هو وقت الإغارة .[2]

[1] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ، ج30، ص498-500

[2] المرجع السابق : التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ، ج30، ص 501

و معنى "وسطن" كن وسط الجميع ، أي صرن وسط القوم المغزوون ، فأما بالنسبة إلى الإبل فيتعيّن أن تكون قوله : جمعاً بمعنى المكان المسمى جمعاً ، و هو مزدلفة فيكون الاشارة إلى حلول الإبل في مزدلفة قبل أن تغير صبحاً منها إلى عرفة.

و من بديع النظم واعجازه إيثار لكلمات (العاديات و ضبحا و الموريات و قدحا و المغيرات و صبحا ووسطن و جمعا) دون غيرها لأنها برشاقتها تتحمل أن تكون المقسم به خيال الغزو و رواحل الحج.

وصفت هذه الأوصاف الثلاثة الأولى بالفاء لأن أسلوب العرب في عطف الصفات و عطف الأمكنة أن يكون بالفاء و هو التعقيب.

و الفاء العاطفة لقوله " فأثرن به نقعاً" عاطفة على وصف (المغيرات) و المعطوف بها من آثار وصف المغيرات ، و ليست عاطفة على صفة مستقلة مثل الصفات الثلاثة التي قبلها لأن إثارة النقع وسط الجمع من آثار الإغارة صبحاً ، و ليس مقسماً بهما أصالة إنما القسم بالصفات الثلاثة الأولى .

و جملة " إن الإنسان لربّه لكنود" جواب القسم .

"كنود ": وصف من أمثلة المبالغة من كند و لغات العرب مختلفة في معناه فهو لغة مضر و ربيعة ، الكفور بالنعمة :بلغة كنانة الخيل، و بلغة كندة العاصي ، و المعنى لشديد الكفران بالله[1]

و الام في لربّه لام التقوية لأن (كنود) وصف ليس أصيلا في العمل و إنما يتعلق بالمعمولات لمشابهة الفعل في الاشتقاق فيكثر أن يقترن مفعوله بلام التقوية ، و مع تأخيره عن معموله و تقديم لربّه لإفادة الاهتمام بمتعلق هذا الكنود بأنه كنود للربّ الذي هو أحق الموجودات ، و أعظم ذلك شرك المشركين و لذلك أكّد الكلام بلام الابتداء الداخلة على خبر (إنّ)للتعجب من هذا الخبر[2]

[1] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ، ج30،ص502

[2] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ، ج30، ص 504

2/قَالَ تَعَالَى:﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ العصر: ١ - ٣

أقسم الله تعالى بالعصر قسما يراد به تأكيد الخبر كما هو شأن أقسام القرآن ، و المقسم به من مظاهر بديع التكوين الربّاني الدّال على عظيم قدرته و سعة علمه.

و للعصر معاني يتعيّن أن تكون المراد منها لا يعدوا أن يكون حالة دالة على صفة من صفات الأفعال الربّانية ، بتعيّن إما إضافة إلى ما يقدّر أو بالقرينة أو بالعهد ، و أيّا ما كان المراد منه هنا فإن القسم به باعتبار أنه من يذكر بعظيم الله تعالى في خلق العالم و أحواله بأمور عظيمة مباركة كالصلاة المخصوصة أو عصر معيّن مبارك ، و أشهر إطلاق لفظ العصر أنه علم بالغلبة وقت ما بين آخر ، وقت الظهر بين اصفرار الشمس.

و تعريفه باللام على هذه الوجوه تعريف العهد الذهني أي كل عصر ، ويطلق العصر على الصلاة المؤقتة بوقت العصر ، و هي صلاة عظيمة .[1]

و قد يكون المعنى عصر النبي (ص) و التعريف فيه تعريف العهد الحضوري مثل التعريف في (اليوم) في قولك (فعلت اليوم كذا)فالقسم بحياته في قوله قَالَ تَعَالَى:﴿لَعَمۡرُكَ﴾ الحجر: ٢٧

و مكن أن يراد به عصر الإسلام كلّه و هو خاتمة عصور الأديان لهذا العالم ، و قد مثّل الرسول ﷺ عصر الأمة الإسلامية بالنسبة إلى عصور النصارى بما بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس ، و يجوز أن يفسر العصر في هذه الآية بالزّمان كلّه

و مناسبة القسم بالعصر لغرض السورة على إرادة عصر الإسلام ظاهرة فإنها بيّنت حال الناس في عصر الإسلام بين من كفر بيه و من أمن و استوفى حضّه من الأعمال التي جاء بها الإسلام.

و تعريف الإنسان تعريف الجنس مراد به الاستغراق و هو استغراق عرفيٌّ لأنه يستغرق افراد النوع الإنساني الموجودين زمن نزول الآية ، فهو زمن ظهور الإسلام.

[1] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ، ج30،ص529

و الخصر : مصدر و هو ضد البرح في التجارة ، استعير هنا لسوء العاقبة لمن يظن لنفسه عاقلة حسنة ، و الظرفية في قوله " لفي خسر" شبهت ملازمة الخسر بإحاطة الظرف بالمظروف فكانت أبلغ من أن يقال : إن الإنسان لخاسر.

و أعقب بالاستثناء بقوله " إلا الذين آمنوا " فيقرر الحكم تاما في نفس السامع مبيّناً أن الناس فريقان ، فريق يلحقه الخسران و فريق لا يلحقه شيء منه .

و عطف على عمل الصالحات التواصي بالحق و التواصي بالصبر ، عطف الخاص على العام للاهتمام به لأنه قد يغفل عنه ، يظن أن العمل الصالح هو ما أثره عمل المرء في خاصته ، فوقع التنبيه على أن من العمل المأمور به إرشاد المسلم غيره و دعوته إلى الحقّ فالتواصي بالحقّ يشمل تعليم حقائق الهدى و عقائد الصواب ، و التواصي بالصبر عطف على التواصي بالحق عطف خاص على العام أيضا ، و إن كان خصوصه خصوصا من وجه لأن الصبر يحمل مشقة إقامه الحق و ما يعترض المسلم من أذى في نفسه في إقامة بعض الحق .[1]

3/قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ التين: ١ - ٤

ابتدأ الكلام بالقسم المؤكد بأهمية الغرض المسوق له الكلام ، و إطالة القسم تشويق إلى المقسم عليه ، و التين ظاهرة الثمرة المشهورة بهذا الاسم ، و هي ثمرة يشبه شكلها شكل الكمثري ذات قشر لونه أزرق إلى السواد ، فالقسم بها لأجل دلالتها على صفات إلهية كما يقسم باسم لدلالته على الذات .[2]

و الزيتون أيضا ظاهره الثمرة المشهورة ذات الزيت الذي يعتصر منها فيطعمه الناس ، و القسم بها كالقسم بالتين من حيث إنها دلالة على صفات الله مع الاشارة إلى نعمة خلق هذه الثمرة النافعة الصالحة .

و أما طور سنين فهو الجبل المعروف بطور سيناء.

و البلد الأمين : مكة سمّي بالبلد الأمين لأن من دخله كان آمناً

[1] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ، ج30،ص 534

[2] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ، ج30،ص420

و في ابتداء السورة بالقسم بما يشمل إرادة مهابط أشهر الأديان الإلهية براعة استهلال لغرض السورة و هو أن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم ، أي خلقه على فطرة سليمة مدركا أدلة وجود الخالق و وحدانيته.

و جملة " لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم" مع ما عطف عليه هو جواب القسم و المقسم عليه يدل على أن التقويم تقويم حقيٌّ يجب التدبّر لإدراكه كما في قوله " في أحسن تقويم" فلذلك ناسب أن يحقق بالتوكيد بالقسم[1]

4/قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾

﴿ الليل: ١ - ٤

مناسبة المقسم به و المقسم عليه أن سعي الناس منه خيرٌ و منه شرٌّ و هما يمثلان النور و الظلمة ، و أن سعي الناس ينبثق عن نتائج منها النافع و منها الضّار كما ينتج الذكر و الأنثى ذرية صالحة و غير صالحة.

و في القسم بالليل و النهار التنبيه على اعتبار بهما في الاستدلال على حكمة نظام الله في هذا الكون و بديع قدرته ، و اختير القسم بالليل و النهار لمناسبة المقام لأن غرض السورة بيان بين حال المؤمنين و الكافرين في الدنيا و الآخرة ، و ابتدئ في هذه السورة بذكر الليل ثم النهار عكس ما في سورة الشمس لأن هذه السورة نزلت قبل سورة الشمس بمدة ، و يتضح هذا في جواب القسم بقوله "إن سعيكن لشتّى " إلى قوله تعالى " إذا تردّى" و في قوله تعالى " إن سعيكم يشتّى" إجمال يفيد التشويق إلى تفضيله بقوله " فأما من أعطى " ليتمكن تفضيله في الذهن ، و حذف مفعول يغشى لتنزيل الفعل منزلة اللازم لأن العبرة بغشيانه كل ما تغشّاه ظلمته ، و أسند النّهار التجلي مدحاً له بالاستشارة التي يراها كل أحد و يحس بها حتى البصراء.

و ما قوله" ما خلق الذكر و الأنثى " مصدرية أقسم الله بأثر من آثار قدرته و هو خلق الزوجين و ما يقتضي من التناسل.

[1] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ، ج30،ص 425

و قد كان القسم في سورة الشمس بتسوية النفس أي خلق العقل و المعرفة في الانسان ، وأما القسم هنا فبخلق الإنسان و اختلاف صنفيه وجملة " إن سعيكم لشتّى" جواب القسم .[1]

➢ **شرح النقاط التي قامت عليها هذه المقارنة بين الشيخين :**

1/ بيان الآية من جهة اللغة العربية :

إن كلا من الشيخين ابن القيم رحمه الله و الشيخ بن عاشور(ت1393هـ)* اعتنيا بهذا الجانب فابن القيم رحمه الله كشف عن معاني الكلمات و ما فيها من دقائق و أسرار حتى يتم الفهم الصحيح للمعنى المراد منه مثل تفسيره : (للحبك ، الخنّس و الدافق و الكنود و الكبَّد و الكنّس و غيرها ...)

فعن لفظة " كنود" قال (الكنود) الكفور بالنعمة و فعله كند يَكنُدُ كنودا ، و أصل اللفظة منع الحق و الخير ، و رجل كنودٌ إذا كان مانعا عليه من الحق".

و الشيخ الطاهر بن عاشور هو الآخر اعتنى ببيان معاني المفردات حتى يتضح المعنى المقصود للقارئ ، فمثلا في تفسيره (لكنود) قال: " من كند ، و لغات العرب مختلفة في معناها، فهو في لغة مُضر و ربيعة : الكفور بالنعمة ، و بلغة كنانة : البخيل ، و في لغة كنده : العاصي "

إن هذا البيان لمعاني الكلمات حمل ابن القيم على توضيح الفرق بين كلمة و أخرى إلتماسا منه رحمه الله لحكمة استعمال هذه اللفظة دون تلك ، فمن ذلك الفرق بين السعي و العمل ، و النسيان و السهو ، والمطهرون و المتطهرون و غيرها... ، مثلا في تفسيره " قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ ﴾ الواقعة: ٥٧ - ٩٧

فقد فرّق بين استعمال لفظة المطهرون و المتطهرون : قال إن المطهرون طهره غيره و هذا يصلح للملائكة ، و المتطهر فاعل التطهير ، فالمتوضأ متطهر ليصل إلى معنى أن القرآن لا

[1] المرجع السابق ، التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ، ج30، ص 379

*ابن عاشور : محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن عاشور ، أديب و خطيب ، من كتبه التحرير و التنوير ، توفي (1393هـ) / ينظر : الاعلام ، الزركلي ، ج6،ص325.

يدرك معانيه و لا يفهمه إلا القلوب الطاهرة و حرام على القلب المتلوّث أن ينال معانيه و أن يفهمه كما ينبغي ، و هذه الميزة نراها عند ابن عاشور أيضا مثلا في تفسيره " **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ۝٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ۝٥﴾ العاديات:١ - ٥

قال أن من بديع النّظم و اعجازة ايثاره سبحانه و تعالى لكلمة العاديات ضبحا ، الموريات قدحا ،المغيرات صبحا ، وسطن ، جمعا دون غيرها لأنها برشاقتها تتحمل أن يكون المقسم به خيل للغزو و رواحل الحج.

2/العناية بالمسائل النحوية و الصرفية :

إن كلا من ابن القيم و ابن عاشور قد اعتنى بالمسائل النحوية و الصرفية ، فكلاهما اهتم بالإعراب ، فابن القيّم تكلم عن بعض وجوه الإعراب للآية إذا كان اختلاف الإعراب يبني عليه تفاسير المعنى مثلا : لما اختُلف في تفسير ب: (بنعمة ربك) في آية القسم " **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢﴾ القلم: ١ - ٢

رجّح الآراء يقول الزمخشري(ت538هـ) و هو" أن (ب)نعمة يتعلق ب مجنون منفيا كما يتعلّق بعاقل مثبتا في قولك : أنت بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك الاثبات و النفي استوائها بقولك ظرب زيدٌ عمراً و ما ذرب زيدٌ عمراً ، تعمل الفعل مثبتا و منفيا عملا واحدا ، و محله النصب على الحال أي أنت منعما عليك بذلك و لم تمنع (الباء) ، و أن تعمل (مجنون) فيما قبله لأنها زائدة لتأكيد النفي ، و هكذا فالإعراب هنا مان المعين لابن القيم للترجيح بين كل الأقوال.

و ابن عاشور(ت1393هـ) هو الآخر اهتم بالإعراب ، حيث أنه يذكر وقع الكلمة بالإعراب و خصوصا ما له علاقة بفهم المقصود من الآية فالقاعدة عنده : الأعراب يبيّن معاني الكلمات و مواقعها ، و كلّما ارتقى اعراب الكلام ارتقت معانيه عنده و علت فصاحته ، و الأمثلة على ذلك كثيرة ، نذكر منها ك في تفسيره **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ

زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥﴾ الصافات: ١ - ٥

قالع عن قوله تعالى (رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ) : أتبع تأكيد الاخبار عن وحدانية الله تعالى بالاستدلال على تحقيق ذلك الاخبار لأن القسم لتأكيده لا يقنع المخاطبين ، لأنهم مكذبون من بلّغ إليهم القسم ، فجملة الاستئناف البياني ، لبيان الاله الواحد مع ادماج الاستدلال على تعيينه بذكر ما هو من خصائصه المقتضي تفرد بالألوهية فقوله : (ربّ السماوات و الأرض) خبر مبتدأ محذوف جرى حذفه على طريقة الاستعمال في حذف المسند إليه من الكلام الوارد بعد تقدم حديث عنه و التقدير : هو ربّ السماوات إلهكم الواحد ، هو الذي تعرفينه بأنه ربّ السماوات و الأرض إلى آخره.

3/الاستشهاد بالسنة و أقوال الصحابة و أهل اللغة و الشعر :

هذه النقطة نلاحظها واضحة جلية عند كلا الشيخين ، فابن القيّم كثيرًا ما اعتمد في تفسيره لآيات القسم على آيات قرآنية أو أحاديث أو كلام السلف وأهل اللغة والشعر ، وهذا إن دّل على شيء إنما يدل على علم الشيخ الواسع بها كلها ، والشيخ الطاهر هو الآخر اعتمد على الآيات القرآنية والأحاديث وأقوال العرب وأشعارهم ، حيث يجعل لغة العرب هي الفيصل في الحكم وذلك ليقينه أن القرآن نزل بلغة العرب وبما يعرفونه من ألفاظ .

➢ **الأمثلة عند كلا الشيخين كثيرة نذكر منها :**

في تفسير القسم في قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ۝٧﴾

١
٧ –

أورد ابن القيم أقوال السلف الصالح في ذلك :

أنها المرسلات : هي الملائكة وهو قول ابي هريرة وابن العباس ، وفسرت بالرياح وهو قول ابن مسعود ، فسرت بالسحاب وهو قول الحسن ، وفصلت بالأنبياء وهو قول عطاء ابن العباس .

لكنه لم يكتفي بالسرد فقط فقد رجح بين تلك الأقوال : أن الله عز وجل يرسل الملائكة ويرسل الأنبياء ويرسل السحاب فيسوقه حيث يشاء ، ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ، فإرساله واقع على ذلك كله وإرسال المقسم به هنا مقيد ب (العرف)

1/ فإما أن يكون ضد المنكر ، فهو إرسال رسوله من الملائكة ولا يدخل في ذلك إرسال الرياح ولا الصواعق ولا شياطين

2/ وإما أن يكون العرف من التتابع كعرف الفرس وعرف الديك ، والناس إلى فلانة عرف واحد أي سابقون في قصده والتوجه إليه ، جاز أن يكون المرسلات (الرياح) ويؤيده عطف (العاصفات) عليه والناشرات ، وجاز أن يكون (الملائكة) وجاز أن يعّم النوعين لوقع الإرسال عرف عليهما ، ويؤيده (الرياح) موكل بها الملائكة تسوقها وتصرفها ويؤيد كونها الرياح عطف العاصفات عليها ب(الفاء) بقاء التعقيب والتسبيب فكأنها أرسلت فعصفت ...والأكثرون على أنها الرياح .

وفي تفسيره لقوله تعالى (والصافات صفا) استشهد بحديث النبي (ص)"ألا تصّفون كما تصّف الملائكة إلى ربها ..." .

ومن أمثلة استشهاد ابن عاشور عند تفسيره **قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ٧﴾ ١ - ٧

نقل قول صاحب الكشاف أن المرسلات هي الملائكة ، وقول الجمهور أن العاصفات هي الرياح وقول القرطبي أنها الملائكة ، والفارقات قول القرطبي أنها الملائكة أو الرسل والقرطبي عن مجاهد أنها الرياح . فإن مسعود وأبو هريرة ومقاتل قالو أن المرسلات هي الملائكة ، وإبن عباس قال هي الرياح ، ثم رجّح طاهر ابن عاشور بين الاقوال قائلا : "ولأرجح أن المرسلات والعاصفات صفتان للرياح أن ما بعدهما صفة للملائكة ، والواو الثانية للعطف وليست للقسم ومناسبة الجمع بين هذين الجنسين في القسم أن كليهما من الموجودات العلوية لأن الأصل في العطف بالواو أن يكون المعطوف بها ذات غير المعطوف عليها ، وما جاء بخلاف ذلك فهو خلاف الاصل ، فأما المرسلات إذا جعل وصفا للملائكة كان المعنى به المرسلين من الرسل

والأنبياء مثل جبريل في إرساله بالوحي وغيره من الملائكة الذين يبعثهم الله إلى بعض أنبيائه لتعليم أو خير او نصر أو المرسلات بتنفيذ أمر الله في العذاب مثل المرسبين في قوم لوط .

وبعد هذه الإطلالة الخفيفة على منهجي الشيخين في دراستهما لآيات القسم نلخص إلى الآتي:

أن كلا الشيخين قد برعا في تناولهما لآيات القسم مراعة لا مثيل لها تنم عن سعة علم الشيخين و اطلاعهما العميق على كتب اللغة والمعاجم والأشعار ودرايتهما بالكتاب والسنة وأقوال السلف ، إلا أن الملاحظ ان الشيخ الطاهر بن عاشور كان في مجال اللغة والبلاغة فارس المغوار فقد اهتم ببيان معاني القرآن عن مكنونه وعميق دلالته والكشف عن دقائق معارفه وأسراره البلاغية بدرجه أنه قد أطنب احيانا الجانب اللغوي حيث أطال الكلام أحيانا في تفسير الكلمات أو المعاني المبهمة التي خرجت عن حد التفسير وهذا لأن ما جعل تفسيره ككل تفسيرا بلاغيا ذو دقائق بلاغية وحقائق علمية وعقلانية واحتوى على كثير من التحاليل اللغوية الدقيقة الإستشهادات المعمقة والترجيحات القيمة فهو تطبيق عملي لقواعد البلاغة العربية على آيات القرآن الكريم عامة وآيات القسم خاصة

المبحث الثالث : بلاغة آيات القسم

المطلب الأول: بلاغة القسم في سورة الذاريات.

المطلب الثاني: بلاغة القسم في سورة المعارج.

المطلب الثالث: بلاغة القسم في سورة الواقعة.

المطلب الرابع: بلاغة القسم في سورة القلم.

المطلب الخامس: بلاغة القسم في سورة الحاقة.

المطلب الأول :بلاغة القسم في سورة الذاريات :

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣﴾ الذاريات:٢٣

يقسم الله تعالى في هذا الموطن باسمه الرب مضافا إلى السماء و الأرض "فورب السماء و الأرض" و هذه هي سورة المقسم به في هذا القسم ، أما المقسم عليه فهو ما يعود عليه الضمير في قوله " إنه لحق" و في تحديد المراد به خلاف بين المفسرين ، فقيل ما ذكر من أمر الآيات و الرزق و ما توعدون ، و قيل إن قوله تعالى " و ما توعدون " مستأنف خبره "فورب السماء و الأرض" و على هذا فالضمير ل (ما) في قوله " و ما توعدون" فإن المقسم عليه في هذا الموطن هو كل ما قالوه في تفسيرها [1]

و مجيء الفاء في صدر هذا القسم "فورب السماء و الأرض" يدا على ارتباطه بما قبله ، و من وجوه الارتباط دلالة الفاء على ترتيب القسم في سورة الذاريات من الادنى إلى الاعلى ، كما يقول ابن القيم ، و ذلكم أنه أقسم في أولها بالذاريات و غيرها من الأمور الأرضية و العلوية .

و الفاء بهذا المعنى تفيد أن الأمر المقسم عليه في غنى عن التوكيد ، و مع ذلك فقد اقسم لهم برب السماء و الأرض ، و كانه يقول قد تأكد المطلوب بما تقدم ، و هذا الوجه قريب من دلالة النفي قبل القسم نحو (لا أقسم) في التأكيد بإظهار عدم الحاجة إلى التأكيد.[2] و مع ما أفادته الفاء من زيادة التوكيد بما أشارت إليه من استغناء الكلام عنه ، فإن المقسم عليه أتبع بما يزيده قوة في التأكيد ، و ذلك قوله "إنه لحق مثل ما انكم تنطقون" فقد شبه الأمر المقسم عليه في ثبوته و تحققه بالنطق الإنساني .

و في ذكر صفة النطق استدلال على صدق المقسم عليه و ذلك أنها أداة الفكر ، و فيها يتوصل إلى دلائل إثبات المقسم عليه ، و في هذا الوجه حث على التفكر في ما ورد في المقسم به من ذكر السماء و الأرض و ما فيها من آيات ، و هذا وجه من وجوه ارتباط المقسم به بالجملة المعضدة للمقسم عليه و هي قوله " مثل ما أنكم تنطقون"

---

[1] المرجع السابق ، التبيان في أيمان القرآن ، ابن القيم ، ص 365

[2] التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي ، دار احياء التراث ، بيروت ، ط3، ج 28، 1981م، ص 209.

فتأمل ما لهذا التمثيل من وجوه الارتباط بتأكيد المقسم عليه مع ما له من صلة وثيقة بالمقسم به .

و من وجوه ارتباط القسم بالسورة التي ورد فيها ، مناسبته لما افتتحت به من القسم بالذاريات و الحاملات و جاريات و المقسمات ، و هي أمور تدخل في آيات الأرض الدالة على التدبير من رب السماء ، و المقسم عليه في القسمين إثبات صدقه و حقيقته ، فلما كان هذا هو ما تضمنه السياق من أول السورة إلى الموضع المقسم هنا: جاءت عناصر القسم في قوله " فورب السماء و الأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون " جامعة بين السماء و الأرض و ربهما ، و على نحو يشير إلى أن تأمل آيات الأرض و السماء ينتهي بصاحبه إلى التصديق بالحق الذي حرصت السورة على إثباته و تقريره.

و ههنا أمر ينبغي التفطن له ، و هو أن الرب تعالى شهد لصحة ما أخبر به ، و هو أصدق الصادقين ، و أقسم عليه و هو أبرز المقسمين ، و أكده بتشبيهه بالواقع الذي لا يقبل الشك بوجه ، و أقام عليه من الأدلة البرهانية ما جعله معاينا مشاهدا بالبصائر وإن لم يعاين بالأبصار[1].

و لعلك تدرك مما سبق قوة التأكيد في هذا القسم و تعدد وجوهه و تنوع علاقات المقسم به بالمقسم عليه ، لتنوع القضايا التي يثبتها القسم و تعددها ، و تناسب القسم مع سياق السورة قبله ، و تدرك كذلك كيف تحقق ذلك كله من الألفاظ المقسم بها ، و هي ما هي إيجازاً و اختصاراً.[2]

المطلب الثاني : بلاغة القسم في سورة المعارج

2/ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ٤١﴾ المعارج: ٤٠ - ١٤

هذا هو الموضع الثاني الذي يرد فيه القسم باسم الرب تعالى مضافا إلى أسماء بعض مخلوقاته ، و المقسم بهذا هو الله تعالى ، كما في الموضع السابق .

[1] المرجع السابق ، التبيان في أيمان القرآن ن ابن القيم ، ص 265-266.

[2] ينظر ، أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية ، علي بن محمد بن علي المحسن الحارثي ، ص 190

و مجيء الفاء في صدر الموضع يصله بما قبله و هو قوله سبحانه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ المعارج: ٦٣ - ٤٠

و الفاء على هذا المعنى واقعة في جواب شرط مقدر و تسمى الفاء الفصيحة ، و يجوز أن تدل الفاء –بعد أن تم الاستدلال بالنشأة الأولى – على عدم حاجة النشأة الثانية إلى التوكيد بالقسم ، على معنى أن الامر ثابت من غير قسم .

و ثمة وجه آخر من وجوه التأكيد بهذا النفي ، أشار إليه ابن كثير * : و ذلك أن لا تنفي مزاعم الكافرين في القضية المراد إثباتها بالقسم ، و تقدير الكلام ليس الأمر كما تزعمون أن لا معاد و لا حساب و لا بعث و لا نشور ، بل كل ذلك واقع لا محالة ، و لهذا أتى ب(لا) في ابتداء القسم ليدل على أن المقسم عليه نفي ، و هو مضمون الكلام ، و هو الرد على زعمهم الفاسد في نفي القيامة ، و قد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ما هو أبلغ من إقامة القيامة...[1]

و في مجيء (لا) –على هذا الوجه– نفي ضد ما أثبته القسم ، أي لضد المقسم عليه ، و بهذا يكون قد أكد المقسم عليه بعد أن مهد له بنفي ضده ، فجمع بين التأكيد بالنفي و التأكيد بالإثبات [2]

و المقسم عليه هنا هو قوله (إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم و ما نحن بمسبوقين)، و المعنى : أنا قادرون على أن نهلك هؤلاء الكافرين و نأتي بخلق أطوع لله منهم[3]

و يؤيد إرادة القسم على البعث أيضا ما ورد عقب القسم من التهديد باليوم الموعود في قوله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ

[1] المرجع السابق ، تفسير ابن كثير ، الرازي ، ج4، ص423

[2] ينظر ، أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية ، علي بن محمد بن علد المحسن الحارثي، ص192

[3] المرجع السابق ، التبيان في أيمان القرآن ، ابن القيم ، ص122.

مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ المعارج: ٢٤ - ٤٤

و خلاصة القول : أن ما قبل القسم و ما ورد بعده يدلان على أن إثبات البعث و تأكيده مما يدخل في المقسم عليه هنا ، بالإضافة إلى إثبات قدرته سبحانه على ان يبدل خيرا منهم في الدنيا.

و لتأكيد هذا الأمر أقسم الله باسمه مضافا إلى المشارق و المغارب ، فقال " فلا أقسم برب المشارق و المغارب" ، و هذا المقسم به يتحد مع ما أقسم به في الموضع السابق في اصل المقسم به و نسقه ، و يختلف عنه في أسماء المخلوقات المضاف إليها ، و لهذا فإن صورة المقسم به هنا مغايرة لصورته هناك : لأن تفسير المضاف إليه في كل موضع ذو قيمة في دلالة القسم ، بوصفه جزءا هاما من أجزاء المقسم به .

و في المقسم به –بصورته التي ورد عليها– تأكيد للمقسم عليه من جهة أخرى و هي تأثير المشارق و المغارب عامة ، أو مشارق الشمس و مغاربها ، كما يقول ابن القيم " و في اختلاف أحوال النبات و الحيوان أمر مشهور ، و قد جعل الله تعالى ذلك بحكمته سببا لتبدل اجسام النبات و أحوال الحيوانات و انتقالها من حال إلى غيره..."[1]

و إذا كانت وجوه تأكيد المقسم عليه تتعدد في كل قسم بتعدد علاقات المقسم به معه ، فإن تعدد المشارق و المغارب ما يزيد من قوة التأكيد ، و يضاعف في هذه العلاقات ، لأن لكل مشرق و مغرب علاقات متعددة في المقسم عليه .

و بهذا يتضح قدر الايجاز الذي تحقق من توكيد هذا الأمر بأسلوب القسم على الصورة التي ورد عليها ، و هو ما لا يمكن تحقيقه– على هذا النحو– في أي بناء أخر.

و اشتمال المقسم عليه على المؤكدات – بالإضافة إلى كونه مناسبا لقوة تأكيد المقسم به – مبني على ما تقدمت الإشارة إليه في أول القسم من بيان عدم حاجته إلى التأكيد بتقدم حرف النفي عليه ، و على ما ورد في إفراد الضمير في قوله" لا أقسم" ، و ذلك أنه جاء بصدر

[1] المرجع السابق ، التبيان في أيمان القرآن ، ابن القيم ، ص121

القسم " معرى عن مظهر العظمة لئلا يتعنت متعنت في أمر الوحدانية ..."[1] لأن الأمر في وضوحه لا يحتاج إلى قسم.[2]

و من جميع ما سبق يلحظ أن صورة المقسم به في هذا الموضع قد اختيرت لتناسب المقسم له و المقسم عليه ، و الموقع و السياق الذي وردت فيه ، و السورة التي وقعت فيها ، في أسلوب روعي في خصائصه الوفاء بمقتضيات كل من هذه الامور ذات العلاقة بالمقسم به ، على تنوعها و تعدد جهاتها.

المطلب الثالث : بلاغة القسم في سورة الواقعة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ ﴾ الواقعة: ٥٧ - ٧٧

قوله تعالى " فلا أقسم بمواقع النجوم" أن (لا) حرف نفي و أن المنفي بها محذوف ، و هو كلام الكافر الجاحد تقديره : فلا حجة لما يقول الكافر ثم ابتدأ قسما بما ذكر .

و قوله تعالى " إنه لقسم لو تعلمون عظيم" أن جواب (لو) مقدر ، تقديره : لو تعلمون لعظمتموه فعلم أنكم لا تعلمون ، إذ لو تعلمون لعظم في أعينكم.

و جملة جواب القسم : إنه لقرآن كريم " أسلوب خبري ضربه إنكاري و غرضه التأكيد على أن القرآن حقيقة لا مناص منها و ثابتته و فحوه وحي أنزل من المولى عز و جل إلى خير الأنام ، و أما عن جملة القسم" فلا أقسم بمواقع النجوم" فهي أسلوب انشائي غير طلبي و نوعه القسم و غرضه اجلال و تقديس رفعة القرآن الكريم الهادي من الجهل و الغي و الظلم ، و هذا لاشك فيه فالقرآن الكريم كتاب أنزل على الرسولﷺ بغية اخراج الناس من الظلمات إلى النور، و علاوة على هذا فجملة القسم جملة منفية لا مثبتة و أداة النفي هي (لا) مع استعمال اسلوب الشرط من خلال أداة الشرط (لو) فهي في هذا المقام شرطية امتناعية إذا امتنع الجواب عن الحدوث عظمة القسم بمواقع النجوم نظر الامتناع فعل الشرط العلم بهذه العظمة ، و المبتغى من توظيف القسم بمواقع النجوم ، و ربطه بالقرآن الكريم للدلالة على وجه

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور ، البقاعي ، دار الكتاب الاسلامي ، ج30، 1984م، ص 416

[2] ينظر ، أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية ، علي بن محمد بن علي المحسن الحارثي ، ص 202

الشبه بينهما و المتمثل في الهداية ، فالأولى تهدي الساري في ظلمات البر و البحر و القرآن يهدي من الجهل و البغي و الغي و هكذا فالنجوم مزيلة للظلمات الحسية و القرآن هادي من الظلمات المعنوية .

وأمّا الصلة بين القسم والمقسم به : فهو واضح ، فلأنّ النجوم بمواقعها أي طلوعها وغروبها يهتدي بها البشر في ظلمات البر والبحر ، والقرآن الكريم كذلك يهتدي به الإنسان في ظلمات الجهل والغي ، فالنجوم مصابيح حسّية في عالم المادة كما أنّ آيات القرآن مصابيح معنوية في عالم المجردات.

المطلب الرابع : بلاغة القسم في سورة القلم :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢﴾ القلم: ١ - ٢

يقسم الله تعالى في هذا الموطن بالقرآن الكريم " ن و القلم و ما يسطرون " و هذه هي سورة المقسم به في هذا القسم ، و أما المقسم به فقد جاء في قوله تعالى " ما أنت بنعمة ربك بمجنون " ، و المراد من النعمة النبوة و الإيمان ، و الباء لسببية أي لست أنت سبب هذه النعمة بمجنون رداً على من جعل نبوّته و نزول القرآن عليه دليلا على جنونه ، فالمقسم به جاء أسلوب خبريا ضربه ابتدائي و غرضه التحقيق و الاقرار بصدق خير البشرية ﷺ ، و أما عن المقسم به فجاء أسلوب انشائي غير طلبي و غرضه التنبيه على كمال ربوبية المولى هز و جل و احسانه اللامتناهي من نعمه على الورى و باقي المخلوقات.

و أما الصّلة بين المقسم به و المقسم عليه ، فهو أن القلم و الكتابة آية العقل و الدراية، فحلف به لغاية نفي الجنون عن النبي ﷺ.

المطلب الخامس : بلاغة القسم في سورة الحاقة :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠﴾ الحاقة: ٨٣ – ٤٠

يقسم الله تعالى في هذا الموطن بما نبصر و ما لا نبصر " فلا أقسم بما تبصرون و ما لا تبصرون" و هذه هي سورة المقسم به في هذا القسم ، أما المقسم عليه فقد جاء في قوله تعالى " إنه لقول رسول كريم " فالمقسم عليه مركب من أمور ايجابية كونه : قول رسول كريم و أنه

تنزيل من ربّ العالمين ، فقد جاء المقسم عليه أسلوبا خبريا ضربه إنكاري و غرضه الاقرار بصدق السول ﷺ و مدى عظمة مكانته و كيف لا و القسم الموظف كان أعم قسم ورد في القرآن الكريم ،ضام العلويات و السفليات و ما يرى و ما لا يرى ، و لقد ورد في المقسم به محسن بديعي معنوي المتمثل في الطباق (تبصرون و لا تبصرون) و أثره تقوية المعنى و توضيحه .

وأمّا الصلة فقد جاءت بالنحو التالي :

في اختيار ما يبصرون ومالا يبصرون للأقسام به على حقّية القرآن ما لا يخفى من المناسبة ، فانّ النظام الواحد المتشابك أجزاؤه الجاري في مجموع العالم يقضي بتوحّده تعالى ، ومصير الكل إليه ، وما يترتب عليه من بعث الرسل وإنزال الكتب ، والقرآن خير كتاب سماوي يهدي إلى الحقّ في جميع ذلك وإلى طريق مستقيم.

الخاتمة

و في ختام هذا البحث الموجز يمكن إيجاز النتائج التي توصلت إليها في النقاط التالية

- ✓ لجأ القرآن الكريم إلى القسم جريا على عادة العرب في توكيد الأخبار ، ليستقر في النفس ، و يتزعزع فيها ما يخالفها و إذا كان القسم لا ينجح أحيانا في حمل المخاطب على التصديق ، فإنه كثيرا ما يوهن في النفس فكرة المخالفة ، و يدفع إلى الشك فيها ، و يبعث المرء على التفكير الجاد و القوي فيما ورد القسم من أجله.
- ✓ أقسم الله بجميع مخلوقاته ، شاهدها و مشهودها ، ما نبصره و ما لا نبصره ، على وجوده ووحدانيته وقدرته ووقوع البعث ، و صدق النبي ﷺو لينبهنا على ما فيها من روعة تدفع إلى التفكير في خالقها .
- ✓ من خلال استعراض أهم المعجمات اللغوية العربية و بعض المؤلفات و استعراض أهم آراء النحويين أن القسم يأتي بمعنى الحلف و اليمين ، و هو وسيلة يلجأ إليها المتحدث لتأكيد ما يحتاج تأكيده إذ أنه أبلغ أنواع التوكيد ، كما أنه أسلوب يستعمل لإنشاء التوكيد في الكلام الخبري ، و هو أسلوب لغوي مثل أساليب الاستفهام و التوكيد و غيرها، فهو ضرب من ضروب التوكيد في الجملة العربية .
- ✓ لأسلوب القسم أدوات تعبر عنه و منها (الباء و الواو و التاء...) كما له كذلك صيغ لفظية تعبر عنه و هي (أقسم ،حلف...) و هي ألفاظ أصلية .
- ✓ يمكننا اعتبار القسم باعتباره من مؤكدات الخبر و وسيلة من الوسائل التدعيمية و التأييدية كالقصص القرآني و الأمثال و الوعد و الوعيد...و التي تخدم الرسالة القرآنية المتمثلة في المبادئ و القواعد و الشرائع و الأحكام لوحدانية الله عز و جل و تنزيهه عن كل شائبة و شريك وولد و اتصافه بجميع صفات العدل.
- ✓ موضوع القسم موضوع مثير للتساؤلات الكثيرة و البحث فيه محفوف بالمخاطر ، إنه خوض في كلام الله عز وجل ، فكل من أكلى بكله مهما كانت مرجعيته أنه أمر اختص الله به لنفسه و ما دوره إلا البحث عن مواطن العبرة ، و مواضع الحكمة فيما أقسم الله به .

- ✓ الامام ابن القيم الجوزية ابدع و أجاد في كتابه و ليس بمستغرب هذا الأمر عليه فهو جبل راسخ من جبال العلم .
- ✓ ظهر الامام من خلال كتابه بلاغة و فصاحة النص القرآني و ما يتضمنه من أحكام شرعية .
- ✓ كلا من الامامين ابن القيم و ابن عاشور قد برعا في هذا الموضوع إلا أنني لمست الجانب البلاغي لدى ابن عاشور طاغيا أكثر منه عند ابن القيم الجوزية.
- ✓ القسم كأي أسلوب قرأني له أغراض بلاغية تتجلى في صياغته ، و من بلاغته الايجاز في الكلام و الجد في القول

كمل و تم إن شاء الله تعالى ، و الحمد لله و المن و الفضل ، و نسأل الله النفع به لي و للمسلمين في خير و عافية ، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين و سلم تسليما كثيرا .

و أحمد الله تعالى و أشكره على توفيقه لأتم هذا البحث و أتضرع إليه سبحانه و تعالى أن يرزقني حسن التمسك بسنة حبيبه المصطفى ﷺ و أسأله سبحانه أن يتجاوز بالصفح عما أكون قد تلبست به في هذا البحث من زلات و أخطاء و أن يجعل شفيعي في ذلك سلامة القصد و بذل الجهد.

و صلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي و على آله و صحبه و سلم ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم مصحف المدينة النبوية لنشر الحاسوبي

السنة النبوية

قائمة المصادر:

1. ابن القيم الجوزية الداعية المصلح والعالم الموسوعي ، صالح أحمد الشامي ، دار القلم ، دمشق،2008م
2. الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ت شعيب الارنؤوط ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 2008م
3. أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ، رقم116
4. أساس البلاغة ، الزمخشري ، ت محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1،ج1، 1998م
5. الأساليب الانشائية في النحو العربي ، عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط5، 2001م
6. أسلوب الشرط و القسم خلال القرآن ، صبحي عمر ، دار الفكر ن عمان ، ط1، 2009م
7. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، الشنقيطي، دار عالم الفوائد ، مج6
8. الإعراب الميسر ، محمد علي أبو العباس، دار الطلائع ،1998م، ص 139.
9. الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ،ط15، 2002م
10. الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي ، دار العلم للملايين ، ط15، 2002م.
11. الامام ابن القيم الجوزية الداعية المصلح والعالم الموسوعي ، صالح أحمد الشامي، دار القلم ، دمشق، ط1 ، 2008م.
12. الأنباء في مواسم العرب ، ابن قتيبة ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، 1956م
13. الأنساب ، السمعاني ، دار المعارف العثمانية ، حيدر اباد ،ط1، 1962م

14. الايضاح في شرح المفصل ، ابن الحاجب النحوي ، ت موسى بناي العليلي ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1982م
15. البحر المحيط ، أبو حيان ، ت صدقي محمد جميل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج8 ، 2010م
16. البداية و النهاية ، ابن كثير ، ت علي شبري، دار احياء التراث العربي ، بيروت، ط1، 1988م
17. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد علي الشوكاني ، ت محمد حسن حلاق ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط1، 2006م
18. بغية الوعاة في طبقة اللغويين و النحاة ، جلال الدين السيوطي، ت محمد أبو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ن لبنان ،1964م.
19. البيان في شرح اللّمع ، ابن جني ، ت علاء الدين حموية ، دار عمار ، عمان ، ط1، 2002م
20. تاج العروس ،الزبيدي ، ت إبراهيم الترزي ، الكويت ، ط1 ، ج33، مادة (ق،س،م) ، 2000م.
21. تاريخ الادب الجاهلي ، علب الجندي ،
22. تاريخ الأدب الجاهلي ،علي الجنيدي ، مكتبة انجلو ، القاهرة ، 1970م
23. التبيان في أيمان القرآن ، ابن القيم الجوزية ، ت عبد الله بن سالم البطاطي ، عالم فوائد ،جدة
24. التحرير و التنوير ، الطاهر بن عاشور ، دار التونسية لنشر ، تونس ، 1984م
25. تشريح العلل في شرح الجمل ، القاسم بن الحسين الخوارزمي ، ت عادل محسن العميري ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، مكة المكرمة ، ط1، 1998م
26. التعريفات ، الجرجاني ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1985م.
27. تفسير ابن عباس و مروياته من كتب السنة ، عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، جامعة أم القرى ، ج3، 2006م

28. تفسير ابن كثير ،اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، ت سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة ، ج8 ، 1999م
29. تفسير الأسماء الحسنى ، أبو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج ، دار الثقافة العربية
30. تفسير البغوي ، الحسين بن مسعود البغوي أبو محمد ، ت محمد عبد الله نمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة ، مج 1989،7م ص 64
31. تفسير القرآن الكريم و إعرابه و بيانه ، محمد علي طه الدرة ، مج3، 2009م
32. التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي ، دار احياء التراث العربي ، لبنان ، ط3، 1981م.
33. تفسير الماوردي ، أبو الحسن الماوردي ، ت السد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ج5، 2010م
34. تهذيب اللغة ، محمد الازهري ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، 2001م
35. تيسير الكريم الرحمان ، عبد الرحمان بن ناصر ، ت عبد الرحمان بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 2002م
36. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ابن جرير الطبري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ج12 ، 1994م
37. الجدول في إعراب القرآن و صرفه و بيانه ، محمود الصافي ، دار الرشيد ، مؤسسة الإيمان ، 1995م
38. حاشية القونوي على تفسير الامام البيضاوي و معه حاشية ابن التمجيد، عبد الله محمود عمر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج14،2001م
39. الداء و الدواء ، ابن القيم الجوزية ، دار عالم فوائد ، جدة ، ط1، 2008م
40. دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، محمد عبد الخالق عظيمة ، دار الحديث ، القاهرة ، (د،س)

41. الديوان في الأدب و النقد ، ابراهيم عبد القادر المازني ، عباس محمود العقاد ، دار النهضة ، مصر ، ج4
42. ذيل طبقات الحنابلة ، ابن رجب الحنبلي ، ت عبد الرحمان ابن سليمان العثيمين ، مكتبة العبيكان ، الرياض، ط2، 2005م
43. روح المعاني ، الألوسي ، لبنان ، دار الكتب العليمة ، بيروت ، ط1 ، ج 15 ، 1994م
44. زاد الميسر في علم التفسير ، عبد الرحمان بن محمد الجوزي ، مكتبة الاسلامي ، دار ابن حزم ، ج8، 2002م
45. السراج المنير ، الخطيب الشربيني ، مطبعة بولاق الأميرية ، (د،ب) مج3، 2012م
46. سير أعلام النبلاء ،شمس الدين الذهبي ، ت شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ،ط3 ، 1985م
47. شذرات الذهب ، ابن عماد الحنبلي ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط5، 1986م
48. شرح الرضي على الكافية ، يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة ، قازيونس، بنغازي ،ط2،ج4، 1996م
49. شرح كتاب الحدود في النحو ، الفاكهي النحوي المكي ، ت المتولي رمضان أحمد الدميري ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط2، 1993م
50. الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ، اسماعيل ين حامد الجوهري ، ت احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، 2007م
51. صحيح البخاري من كتاب التوحيد ، عبد الله بن محمد الغنيمان ، باب قوله تعالى " ولا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له "رق7083
52. صحيح مسلم ، مسلم بن حجاج ، كتاب الصلاة ، باب الامر بالسكون في الصلاة ، رق 690 ، دار الكتب العلمية، بيروت

53. القسم في اللغة وفي القرآن ، محمد مختار السلامي ،دار الغرب الاسلامي،1999م
54. الكتاب ، سيبويه ، ت عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج3، 1992م
55. الكشف و البيان في علوم القرآن ، سمير عبد العزيز ، مطلعة دار البيان ، مصر،1988م
56. لسان العرب ، ابن منظور ، ت عبد الله علي كبير و محمد أحمد حسب الله و هاشم الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة، مادة (ق،س،م) ،
57. لغة القرآن الكريم ، د عبد الجليل عبد الرحمان ،مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، ط1، 1981م
58. اللمع في العربية ، ابن جني ، ت سليم أبو مغلي ، دار مجدلاوي ، عمان ، 1988م
59. مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط3، 1996م
60. مختار الصحاح ، الرازي المطلعة الكلية ، مصر ، ط1، مادة(ح،ل،ف)،1911م
61. مختصر النحو ، عبد الهادي الفضلي ، دار الشروق ، جدّة ، ط7، 1980م
62. المخصص ، ابن سيده، المطلعة الأميرية ، مصر ،1901م
63. معاجم الوسيط ،ابراهيم مصطفى ، ت مجمع اللغة العربية ،(د،ب) ، (د،س)
64. معالم التنزيل ، أبو محمد حسين بن مسعود البغوي ، ت محمد عبد الله نمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة لنشر ، مج7، 1989م
65. معاني القرآن ، الزجّاج ، ت عبد الجليل عبده شلبي ، مج5، 1988م
66. معجم الأدباء ،ياقوت الحموي ، ت احسان عباس ، دار الغرب الاسلامي ، ط1993،1م

67. مفردات القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ت صفوان عدنان داوودي، دار القلم، عمان ، 2009م
68. مفردات القرآن ، عبد الحميد الفراهي ، ت محمد أجمل أيوب الاصلاحي ، دار الغرب الاسلامي ، 2002م
69. المقتضب ، المبرد، ت محمد عبد الخالق عظيمة ، القاهرة ، ج2، 1994م
70. من أسلوب القسم في القرآن الكريم ، علي بن محمد بن عبد المحسن الحاني ، إش فتحي ع القادر ، مج2 ، 1990م
71. مواقف حلف فيها النبي صلى الله علبه و سلم ، أبو محمد خميس السعيد محمد علد الله ، بيت الأفكار الدولية ، بيروت ، ط1، 1997م
72. النحو الوافي ، عباس حسن ، دار المعارف ، مصر ، ط3 ، ج4
73. نزهة الألباب في طبقة الأدباء ، ابن الأنباري، ت ابراهيم السامرائي ، مكتبة المنار ، ط1985،3م.
74. نظم الدرر في تناسب الآيات و السور ، البقاعي ، دار الكتاب الاسلامي ، ج30، 1984م.
75. نظم الدرر في تناسب الآيات و السور ، برهان الدين البقاعي ، دار الكتاب الاسلامي ، ج18،، 984م،
76. هدية العارفين ، البغدادي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ج2، 1951م
77. الوافي بالوفيات ، الصفدي ،دار الاحياء التراث، بيروت ، 2000م
78. الوجيز ، الواحدي ، دار القيم ، بيروت ، ط1، 1994م
79. الوسيط في تراجم ادباء شنقيط ، أحمد أمين الشنقيطي مطبعة المدني
80. الوظائف الدلالية و البلاغية للقسم القرآني ، خاين محمد ، جامعة شلف ، كلية الآداب و اللغات

الرسائل الجامعية :

1. أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم بلاغته و أغراضه ، سامي عطا حسن ، جامعة أل البيت ، المفرق المملكة الأردنية الهاشمية
2. أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية ، علي محمد بن عبد المحسن الحارثي ، مذكرة لنيل درجة الماجستير في البلاغة و النقد، قسم الدراسات العليا ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 1991 م
3. التبيان في أيمان القرآن دراسة وتحقيق ، حمزة بن محمد علي آل ياسين عسيري ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير ، كلية الشريعة و الدراسات الاسلامية ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 2001م
4. صيغة نفي القسم في القرآن الكريم دراسة تحليلية دلالية نحوية ، سمية محمد عناية نايف ، كلية التربية ، ابن رشد ، جامعة بغداد ، رسالة لنيل درجة دكتوراه في اللغة العربية ، إشراف د عبد الرحمان الجبوري ، 2004م

المواقع الإلكترونية:

1. www.ahlalhdeeth.com
2. شرح كتاب التوحيد ، الغنيمان عبد الله بن محمد ، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net

3. كتاب الحاوي في التفسير www.al-eman.net 12:19، 27-08-2020

الفهارس

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الآية و رقمها	السورة	الصفحة
البقرة		
[05] ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾		59
[83] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾		83
آل عمران		
[18] ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾		05
النساء		
[62] ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾		11
المائدة		
[118] ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾		57
الأنعام		
[23] ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾		10
الأعراف		
[54] ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ﴾		48
التوبة		
[06] ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾		57
[56] ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾		15
يونس		
[53] ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ﴾		05

[61] ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ ﴾	51
[101] قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	06
هود	
[53] ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا﴾	64
الرعد	
[12] ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾	70
ابراهيم	
[31] ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾	57
الحجر	
[72] ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	85-17
النحل	
[16] ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾	60
[38] ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾	11
الإسراء	
[53] ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	57
الكهف	
[45] ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾	63
مريم	
[68] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾	07
الأنبياء	
[32] ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾	75

النور	
[41] ﴿وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ﴾	44
الفرقان	
[04] ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾	61
[05] ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا﴾	61
الشعراء	
[137] ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾	59
[192] ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	40
النمل	
[29] ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾	51
[49] ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ﴾	01
[79] ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ﴾	59
لقمان	
[33] ﴿۞ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾	70
السجدة	
[13] ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي﴾	57
[24] ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾	79
سبأ	
[03] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ﴾	08
[23] قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾	46
يس	

[1-3] ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾	14
الصافات	
[1-5] ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا﴾	90-44-45
[56] ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ﴾	09
[165] ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾	44
ص	
[1] ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾	37-38-09
فصلت	
[42] ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ﴾	57
الزخرف	
[43] قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ﴾	59
الذاريات	
[01] ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾	62
[21] ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾	36
[23] قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ﴾	93-71-68-64-56-37-08
الطور	
[1-7] ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ﴾	73-67-38
[9-14] قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا﴾	75
[49] ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾	48
النجم	
[01] ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾	61-54-51-37

الرحمن	
[1-4] ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾	53
[06] ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾	60
الواقعة	
[75-77] ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾	98-89-50-49- 47
[80] ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	57
الملك	
[195] ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ﴾	44
القلم	
[1-3] ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾	99-57-52-37-3
[10] ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ﴾	5
الحاقة	
[38-39] ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾	99-60-55-44-34
[44] ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ﴾	62
المعارج	
[40] ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾	95-51
[36] ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ﴾	96
[42] ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ﴾	97
المدثر	
[23] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾	81
[25] ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ﴾	57

القيامة	
[1-4] ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾	06-19
المرسلات	
[1-7] ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا﴾	3-65-71-90-91
[20] ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾	67
عبس	
[13] قَالَ تَعَالَى: ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ﴾	49-68
التكوير	
[15-19] ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾	93
الطارق	
[01] ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾	39
الشمس	
[07] ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾	06
الليل	
[1-4] ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾	38-81-82-87
التين	
[1-6] ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ﴾	38-78-79-86
العلق	
[4-5] ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾	58
العاديات	
[1-4] ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا﴾	38-76-82-89

العصر	
[1-3] ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾	85-77

فهرس الأحاديث:

شطر الحديث	راوي الحديث	الصفحة
ألا تصفون كما تصف الملائكة	مسلم بن حجاج	44
إذا قضى الله الأمر في السماء	الامام البخاري	46
تكلم الرسول بكذا و كذا	عبد الله بن أحمد	57

فهرس الأعلام المترجم لهم

الرقم	اسم العلم المترجم له	الصفحة
1	ابن منظور	**1**
2	المبرد	**3**
3	ابن جني	**3**
4	ابن خالويه	**4**
5	أبو القاسم القشيري	**5**
6	سيبوبه	**12**
7	الفراهيدي	**12**
8	الرضيّ	**13**
9	ابن تيمية	**32**
10	البغدادي	**35**
11	السيوطي	**36**
12	اسحاق النجيرمي	**40**
13	ابن ذكوان	**40**
14	محمد بن طولون	**41**
15	عبد الحميد الفراهي	**41**
16	الزمخشري	**54**
17	الكلبيّ	**54**
18	ابن الأعرابي	**55**
19	ابن الحاجب	**59**
20	الأصفهاني	**60**
21	بن عاشور	**88**

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

المقدمة.....أ

مدخل

ماهية القسم و مقوماته

مفهوم القسم 1

أنواع القسم و أركانه 4

اغراض القسم 18

المبحث الأول : التعريف بالمؤلِّف و المؤلَّف

المطلب الأول : التعريف بالمولِّف.....21

الفرع الأول :اسمه و نسبه 21

الفرع الثاني : مولده و نشأته.....21

الفرع الثالث: شيوخه و تلاميذه.....23

الفرع الرابع: أعماله.....26

الفرع الخامس: عقيدته و مذهبه.....32

الفرع السادس: وفاته.....33

المطلب الثاني: التعريف بالمؤلَّف.....34

الفرع الأول :اسم الكتاب و موضوعه.....34

الفرع الثاني : توثيق الكتاب و نسبته إلى مؤلفه.....36

الفرع الثالث: منهج المؤلف في كتابه.....37

الفرع الرابع:المصادر التي اعتمد عليها المؤلف.....39

الفرعالخامس:أهمية الكتاب.....40

المبحث الثاني : مقارنة دلالة القسم عند الإمام ابن القيم الجوزية من خلال كتابه التبيان في أيمان القرآن و الإمام الطاهر بن عاشور من خلال كتابه التحرير و التنوير

المطلب الأول : دلالة القسم على التوحيد.....44

الفرع الأول : تفسير الإمام ابن القيم الجوزية.....44

الفرع الثاني . تفسير الإمام الطاهر بن عاشور.....45

المطلب الثاني: دلالة التفسير على أن القرآن حق.....47

الفرع الأول : تفسير الإمام ابن القيم الجوزية.....47

الفرع الثاني:تفسير الإمام الطاهر بن عاشور 50

المطلب الثالث :دلالة القسم على أن الرسول حق.....52

الفرع الأول: تفسير الإمام ابن القيم الجوزية 52

الفرع الثاني : تفسير الإمام الطاهر بن عاشور.....57

المطلب الرابع :دلالة القسم على الجزاء و الوعد و الوعيد.....62

الفرع الأول : تفسير الإمام ابن القيم الجوزية.....62

الفرع الثاني : تفسير الإمام الطاهر بن عاشور.....69

المطلب الخامس:دلالة القسم على حال الإنسان.....76

الفرع الأول :تفسير الإمام ابن القيم الجوزية 76

الفرع الثاني : تفسير الإمام الطاهر بن عاشور.....82

المبحث الثالث بلاغة القسم القرآني

المطلب الأول : بلاغة القسم في سورة الذاريات 94

المطلب الثاني : بلاغة القسم في سورة المعارج.....95

المطلب الثالث:بلاغة القسم في سورة الواقعة.....98

المطلب الرابع :بلاغة القسم في سورة القلم.....99

المطلب الخامس : بلاغة القسم في سورة الحاقة 99

الخاتمة.....101

قائمة المصادر و المراجع.....104

فهرس الآيات القرآنية و الأحاديث.....112

فهرس الأعلام 120

فهرس الموضوعات.....122